# تفسير

## سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

١ . ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاًۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾ .

ذكرنا معنى العَوج والفرق بينه وبين العِوج في قوله : ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران :٩٩][(١)] . روى الوالبي عن ابن عباس في قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ قال : (ملتبساً)[(٢)] . ومعناه : التباس ؛ أي لم يجعل ملتبساً لا يُفهم ، ومعوجاً لا يستقيم .

---

(١) العَوج بالفتح : ما كان منصوباً كالحائط والعود . والعِوج بالكسر : ما كان في بساط أو أمر نحو : دين ، ومعاش . انظر : تهذيب اللغة (عاج) ٣/ ٢٢٦٤ ، ومعجم مقاييس اللغة (عوج) ٤/ ١٨٠ ، ولسان العرب (عوج) ٥/ ٣١٥٤ ، والقاموس المحيط (عوج) ٢٠٠ ، والمفردات في غريب القرآن (عوج) ٣٥١ .

(٢) جامع البيان ١٦٩/ ١٢٧ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٥/ أ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨١ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه من طريق علي عن ابن عباس .

وقال أبو إسحاق : «لم يجعل فيه اختلافا»[١] . كما قال : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء :٨٢] . يدل على هذا قوله : ﴿قِيَمًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد مستقيماً عدلاً»[٢] . وذكرنا الكلام في القيِّم عند قوله : ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام :١٦١] ، وجميع أهل اللغة والتفسير قالوا : «هذا من التقديم والتأخير ، وتقديره : أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً»[٣] .

٢. وقوله تعالى : ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد : لينذر عذاباً شديداً»[٤] . [قال الفرَّاء : «مع البأس أسماء مضمرة يقع عليها الفعل قبل أن يقع على البأس»[٥] .

يعني أن][٦] المفعول الأول للإنذار محذوف على تقدير : لينذر الكافرين بأساً ، كما قال في ضده : ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، فأظهر[٧] . وفسَّر الزَّجَّاج فقال : «أي لينذرهم بالعذاب البئيس»[٨] .

وقوله تعالى : ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد من عنده»[٩] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٧ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ١٩٠ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٥ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٨٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٠ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨١ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ١٩١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٢٨ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٦ .

(٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ١٩٢ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٨٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٢٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٥٢ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٣ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٧) انظر : الكشاف ٢/ ٣٧٩ ، والدر المصون ٧/ ٤٣٧ ، والبحر المحيط ٦/ ٩٦ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٧ .

(٩) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة في معالم التنزيل ٥/ ١٤٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٢٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٣ .

وقال الزَّجَّاج : «مـــن قِبَلِهِ»[١] . قال : «وفي لدن لغات يقـــال : لدُ ، ولَدُنْ ، ولَـــدَى ، والمعنى[٢] واحد . قال : وهي لا تتمكَّـــن تمكُّن عند ؛ لأنك تقول : هذا القـــول عندي صواب ، ولا تقول : هو لدني صـــواب[٣] ، وتقول[٤] : عندي مال عظيم ، والمال غائب عنك ، ولدن لما يليك لا غير»[٥] .

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر : (مِّن لَّدُنهُ) ، بشـــم الدال الضمة وبكسر النون والهاء[٦] ، وهي لغة الكلابيين[٧] .

روى أبـــو زيد عنهم أجمعين : «هـــذا من لدُنِه ، فتحوا الـــلام وضموا الدال وكسروا النون»[٨] .

قال أبو علي الفارسي : «في لدُنْ لغات : لدن مثل ســـبع ، وتخفف الدال ، فإذا خففت على ضربين ؛ أحدهمـــا : أن تحذف[٩] الضمَّة من الـــدال ، فيقال : لدن . والآخر : أن تحـــذف الضمة من الـــدال وتنقل إلى اللام ، فيقـــال : لدن ، مثل :

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٧ .

(٢) قوله : (المعنى) ساقط من نسخة (س) .

(٣) قوله : (ولا تقول : هو لدني صواب) ، مكرر في نسخة (س) .

(٤) (ويقول) في نسخة (س) .

(٥) ذكره الزَّجَّاج مختصراً في معاني القرآن ٣/ ٣٠٣ ، وأورده الأزهري في تهذيب اللغة (لدن) ٤/ ٣٢٥٦ ، والفارسي في الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٢٥ .

(٦) انظر : السبعة ٣٨٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٢٤ ، والمبسوط ٢٣٣ ، والتبصرة ٢٤٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٥٤ ، والعنوان في القراءات ١٢٢ .

(٧) الكلابيـــون : بطن عظيم من عامر بن صعصعة من العدنانية ، وهـــو بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعـــة بن معاوية بن بكر بن هـــوازن بن قيس بن عيلان ، كانـــت ديارهم حمى ضرية ، وهو حمى كليب ، وحمى الربذة في جهـــات المدينة المنورة ، وفدك والعوالي ، ثم انتقلوا إلى الشـــام . انظر : نهاية الأرب ٣٦٥ ، ومعجم قبائل العرب ٣/ ٩٨٩ ، والتعريف في الأنساب ٧٧ .

(٨) تهذيب اللغة (لدن) ٤/ ٣٢٥٦ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٢٥ .

(٩) في نسخة (س) : (أن تخفف) ، وهو تصحيف .

عضد ، وفي كلا الوجهين يجتمع في الكلمة ساكنان : الدال المنقول عنها الحركة ، والمحذوفة منها مع النون . فأما قراءة عاصم : (من لَدْنِهِ)[١] فالكسرة في النون ليست بجرٍّ ، إنما هي كسرة لالتقاء الساكنين ، وذلك أن الدال أسكنت كما أسكنت في سُبُع ، والنون ساكنة ، فلما التقى ساكنان كسر الثاني منهما وأشمت[٢] الدال الضمة ، لتدل على أنها كانت متحركة بها ، كما قالوا : أنت تَغْزُين . وقولهم : قُيل ، أشمت الكسرةُ فيهما الضمة ، لتدل على أن الأصل فيهما التحريك بالضم ، وإن كان إشمام عاصم ليس بحركة خرجت إلى اللفظ ، وإنما هو تهيئة العضو لإخراج الضمة ، ولو كانت حركة لم يلتق ساكنان ولم تكسر النون لاجتماعهما»[٣] . وليس يحتمل هذا الموضع من الكلام في لدن أكثر مما ذكرنا ، وما بقي نذكره عند قوله : ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف :٧٦] ، إن شاء الله .

والجار في قوله : (من لدنه) يحتمل وجهين ؛ أحدهما : أن يكون صفة النكرة التي هي قوله : (بأساً) ، وفيها ذكر الموصوف . والآخر : يكون متعلقاً بشديد[٤] .

وقوله تعالى : ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ . قال الزَّجَّاج : «المعنى بأن لهم أجراً حسناً»[٥] .

---

(١) من طريق شعبة عن عاصم .
انظر : السبعة (٣٨٨) ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٢٤ ، والتبصرة (٢٤٧) ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٥٤ .

(٢) الإشمام : إطباقك الشفتين بعد الإسكان وتدع بينهما انفراجاً ليخرج النفس بغير صوت ، وذلك إشارة للحركة التي ختمت بها الكلمة ، ويكون في المرفوع والمضموم ، ولا يعرف ذلك الأعمى ؛ لأنه لرؤية العين . انظر : التحديد في الإتقان والتجويد ٩٨ ، والبرهان في تجويد القرآن ٦٦ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٢٤ ، والبحر المحيط ٦/ ٩٦ ، والدر المصون ٧/ ٤٣٨ .

(٤) الدر المصون ٧/ ٤٣٩ ، والجدول في إعراب القرآن الكريم ١٥/ ١١٢ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٦٨ .

قال ابن عباس : «يريد ثواباً عظيماً»[١] .

وقال السدي : «هو الجنة»[٢] .

٣. قوله تعالى : ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ بمعنى : خالدين[٣] . وهو حال للمؤمنين من قوله : «أن لهم أجراً»[٤] .

٤. وقوله تعالى : ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد بعذاب الله ونقمته»[٥] .

قال الكلبي والسدي : «يعني اليهود والنصارى»[٦] .

٥. قوله تعالى : ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾ ؛ أي بذلك القول ، ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ يعني : قالوه جهلاً ، وافتراء على الله تعالى ، ﴿وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ ، اختار الفرَّاء ﴿كَلِمَةً﴾ بالنصب .

---

(١) جامع البيان ١٥/ ١٩٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٠ ، بمعناه من دون نسبة .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٤٣ من دون نسبة ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٢٩ ، من دون نسبة ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٣) جامع البيان ١٥/ ١٩٢ ، والقرطبي ١٠/ ٣٤٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٠ .

(٤) المحرر الوجيز ٩/ ٢٢٩ ، والبحر المحيط ٦/ ٩٦ ، والدر المصون ٧/ ٤٣٩ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٨ .

(٥) ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ١٥/ ١٩٣ من دون نسبة ، وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٠٤ .

(٦) المحرر الوجيز ٩/ ٢٠٣ من دون نسبة ، وزاد المسير ٥/ ١٠٤ من دون نسبة ، والدر المنثور ٧/ ٣٨٢ ونسبه إلى ابن أبي حاتم .

قال الفرَّاء : «من نصب أضمر الفاعل ، كأنه قيل : كبرت تلك الكلمة كلمة ، ومن رفع لم يضمر شيئاً ، كما تقول : عظم قولك»[١] .

وقال الزَّجَّاج : «المعنى : كبرت مقالتهم كلمة ، و﴿كَلِمَةً﴾ منصوب على التمييز» ، هذا كلامه[٢] .

ومعنى التمييز في هذا : أنك إذا قلت : كبرت المقالة ، أو الكلمة ، جاز أن يتوهم أنها كبرت كذباً ، أو جهلاً ، أو افتراءً ، فلما قلت : كلمة ، ميزتها من محتمل فانتصب ، كما تقول في باب التمييز .

قال أبو عبيد : «والنصب وجه القراءة ؛ لأن الكلمة قد ذكرت قبل ، وهي قوله : ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ ، فصارت مضمرة في (كبرت)[٣] .

قال الأخفش : «هذه في النصب كقول الشاعر :

ولَقَدْ عَلِمْتِ إذا العشارُ ترَوَّحَتْ هَدَجَ الرئالِ تكبُّهُنَّ شمالاً[٤]

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٤ .
قراءة النصب هي القراءة الصحيحة الثابتة ، وقراءة الرفع قراءة شاذة قرأ بها : الحسن وابن محيصن . انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٥ ، ومشكل إعراب القرآن ٤٣٧ ، والقراءات الشاذة ٨١ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٨ .

(٣) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : البحر المحيط ٦/ ٩٧ ، والدر المصون ٧/ ٤٤٠ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٧٨ ، وروح المعاني ١٨/ ٢٠٤ .

(٤) البيت للأخطل . انظر : ديوانه ٣٨٧ ، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٦١٦ ، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ٥٨١ .

أي تكبُّهنَّ الرياح شمالاً ، وهاهنا كأنه قيل : كبرت تلك الكلمة»[١] .

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف :٦] .

٦. قوله تعالى : ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد : «قاتل نفسك»[٢] . وهو قول المفسرين ، وأهل المعاني[٣] . قال الفرَّاء في المصادر : «بَخَعَها ، يبخَعُهَا ، بخعاً ، وبخوعاً»[٤] . وقال الليث : «بَخَعَ الرجل نفسه إذا قتلها غيظاً من شدة وجده بالشيء»[٥] .

وأنشد قول ذي الرمة[٦] :

ألا أيُّهذا الباخِعُ الوَجْدُ نفسَهُ لشيءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيهِ المقادِرُ

قال أبو عبيدة : «كان ذو الرمة ينشد الوجد رفعاً»[٧] .

---

(١) معاني القرآن للأخفش ١/ ٦١٦ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ١٩٤ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٢ وعزاه إلى ابن المنذر .

(٣) جامع البيان ١٥/ ١٩٤ ، وبحر العلوم ٢/ ٢٨٩ ، والكشاف ٢/ ٣٨٠ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٤ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٨ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٩٣ .

(٤) لم أقف عليه . وذكره ابن منظور بلا نسبة في لسان العرب (بخع) ١/ ٢٢٢ .

(٥) ذكرت نحوه كتب اللغة . انظر : تهذيب اللغة (بخع) ١/ ٢٨٥ ، ومقاييس اللغة (بخع) ١/ ٢٠٦ ، ولسان العرب (بخع) ١/ ٢٢٢ ، والقاموس المحيط (بخع) ٧٠٢ .

(٦) البيت لذي الرمة . انظر : ديوانه ٢٥١ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٩٣ ، وتهذيب اللغة (نجع) ١/ ٢٨٦ ، ومقاييس اللغة (نجع) ١/ ٢٠٦ ، والصحاح (نجع) ١٧ ، واللسان (نجع) ١/ ٢٢٢ ، والدر المصون ٧/ ٤٤٢ .

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٩٣ .

وقال الأصمعي : «يقول : إنما هو الوجد بالفتح»[١] .

وأصل معنى البَخْـع : الجهد ، يقال : بَخَعْت لك نفسي ؛ أي جهدتها ، ذكره الفـرَّاء ، والأخفش[٢] . وفي حديث عائشـة : «أنها ذكرت عمـر فقالت : بَخَعَ الأرض»[٣] ؛ أي جهدها حتى أخرج ما فيها من أموال الملوك .

وقال الكسائي : «بَخَعْتُ الأرض بالزراعة ، إذا أنهكتها وتابعت[٤] حراثتها ، ولم تجمَّها عاماً ، وبَخَعَ الوجدُ نفسه إذا أنهكها ، وأنشد بيت ذي الرمة»[٥] . وعلى هذا معنـى : ﴿بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ ؛ أي ناهكها ، وجاهدها حتى تهلكها ، ولكن أهل التأويل كلهم قالوا : قاتل نفسك ومهلكها ، والأصل هو ما ذكرنا[٦] .

وقولـه تعالى : ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ﴾ . قال الزَّجَّاج : «أي مـن بعدهم»[٧] . وهذا كلام العـرب يقولون : مات فلان واحداً على أثر فـلان ؛ أي بعده ، وأصل هذا من التأثير ، والأثر الذي هو العلامة ، وذلك أنهم يقولون : خرجت في أثر فلان ، وجئـت على أثره ، يعنون بعده ، كأنهم يريدون أثر سـلوكه الطريق ، ثم كثر هذا

---

(١) الدر المصون ٧/ ٤٤٢ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٤ ، وتهذيب اللغة (بخع) ١/ ٢٨٥ .

(٣) انظر : النهايـة في غريب الحديث ١/ ١٠٢ ، والتفسـير الكبـير ٢١/ ٧٩ ، وتهذيـب اللغة (بخع) ١/ ٢٨٥ .

(٤) في نسخة (ص) : (بايعت) ، وهو تصحيف .

(٥) تهذيب اللغة (بخع) ١/ ٢٨٥ ، والدر المصون ٧/ ٤٤٢ .

(٦) انظر : تهذيـب اللغة (بخع) ١/ ٢٨٥ ، ومقاييـس اللغة (بخع) ١/ ٢٠٦ ، ولسـان العرب (بخع) ١/ ٢٢٢ ، والقامـوس المحيط (بخع) ٧٠٢ ، والصحاح (بخـع) ٣/ ١١٨٣ ، والمفردات في غريب القرآن (بخع) ٣٨ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٨ .

حتى استعمل بمعنى بعد حيث لا يتحقق الأثر ، كقوله : مات فلان على أثر فلان ؛ أي بعده ، وآثر كذا بكذا أتبعه إياه[١] ، ومنه قول متمم[٢] :

فَآثَرَ سيلَ الواديينِ بديمةٍ

أي أتبعه بمطر .

ومعنى ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ هاهنا : من بعدهم ، وتحقيقه ما بيَّنَّا ، وليس يريد من بعد موتهم ، وإنما التأويل : من بعد توليهم وإعراضهم عنك[٣] .

قوله تعالى : ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ . قال ابن عباس وغيره : «يعني القرآن»[٤] .

﴿أَسَفًا﴾ قال مجاهد : «جزعاً»[٥] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (أثر) ١/ ١١٩ ، ومقاييس اللغة (أثر) ١/ ٥٣ ، والصحاح (أثر) ٢/ ٥٧٤ ، واللسان (أثر) ١/ ٢٥ ، والمفردات (أثر) ٩ .

(٢) هذا صدر بيت لمتمم يصف الغيث ، وعجزه :

تُرَشِّحُ وَسْمِيّاً مِنَ النَّبْتِ خِرْوَعَا

والمعنى : أتبع مطراً تقدم بديمة بعده . انظر : الشعر والشعراء ٢١٩ ، والأغاني ١٥/ ٢٩٨ ، والمفضليات ٢٦٨ ، وخزانة الأدب ١/ ٢٣٦ ، وتهذيب اللغة (أثر) ١/ ١١٩ ، ولسان العرب (أثر) ١/ ٢٥ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ١٩٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٣٢ـ٢٣٣ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٥ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ١٩٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٤ ، والكشاف ٢/ ٢٨٠ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٢ . ويشهد لهذا قوله سبحانه في سورة الزمر ، الآية : [٢٣] .

(٥) جامع البيان ١٥/ ١٩٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٣٣ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٥ .

وقال السدي : «حزناً»[١] . وقال سفيان : «غضباً»[٢] .

وجمع ابن عباس بينهما ، فقال : «يريد : غضباً وحزناً»[٣] . قال الزَّجَّاج : «والأسف : المبالغة في الحزن والغضب»[٤] . وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ في سورة الأعراف . وانتصابه يجوز أن يكون على المصدر ، ودلَّ ما قبله من الكلام على أنه تأسف ، ويجوز أن يكون مفعولاً له ؛ أي للأسف ، كقولهم : جئتك ابتغاء الخير[٥] .

وقال الزَّجَّاج : «﴿أَسَفًا﴾ منصوب ؛ لأنه مصدر في موضع الحال»[٦] . وفي هذه الآية إشارة إلى نهي النبي ﷺ عن كثرة الحرص على إيمان قومه حتى يؤدي ذلك إلى هلاك نفسه بالأسف ، والفاء في قوله : ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ جواب الشرط ، وهو قوله : ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ قدِّم عليه ، ومعناه التأخير .

٧. قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ . قال مجاهد : «ما عليها من شيء من البحار ، والجبال ، والأشجار ، والنبات»[٧] . والمعنى : إنا

---

(١) جامع البيان ١٥/ ١٩٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٣٣ عن قتادة ، وزاد المسير ٥/ ١٠٥ عن ابن عباس وابن قتيبة ، وتفسير القرآن العظيم عن قتادة ٣/ ٨١ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٤٤ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٢ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وفتح القدير ٣/ ٣٨٥ من دون نسبة .

(٣) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٣٨٥ ب ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٣٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٤ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٥ ، والكشاف ٢/ ٤٧٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨١ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٩ .

(٥) انظر : الكشاف ٣/ ٣٨٠ ، والبحر المحيط ٦/ ٩٨ ، والدر المصون ٧/ ٤٤٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٦ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ٣٩٤ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٨ .

(٧) جامع البيان ١٥/ ١٩٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٥ـ١٠٦ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٢٨٩ بلا نسبة .

زينَّا الأرض بما خلقنا فيها من الماء ، والمعادن ، وأنواع المخلوقات ، ويدخل في هذا كل ما على الأرض من ذي الروح والجماد .

وقوله تعالى : ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الاختبار في خلقه بما يفهمون»(١) . ومضى الكلام في مثل هذا في مواضع(٢) .

وقوله تعالى : ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ . قال الحسن : «أيُّهم أزهد في الدنيا زهداً ، وأترك لها تركاً»(٣) . وهذا قول أبي إسحاق قال : «فالحسن العمل من زهد في ما زيِّن له من الدنيا»(٤) .

وقال مقاتل : «أيهم أصلح في ما أوتي من المال»(٥) .

وذكر قتادة في تفسير هذه الآية قول النبي ﷺ : «إن الدنيا خضرة حلوة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا فتنة الدنيا»(٦) . قال الزَّجَّاج : «﴿أَيُّهُمْ﴾ رفع بالابتداء ؛ لأن لفظه لفظ الاستفهام»(٧) . والمعنى : ليختبر أهذا

---

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ١٩٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٢٨٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٦ ، والتسهيل لعلوم التنزيل ٣٧٦ ، ولباب التأويل ٤/ ١٩٢ .

(٢) نحو قوله تعالى في سورة هود الآية رقم [٧] : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ، وقال سبحانه في سورة الملك الآية رقم [٢] : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ١٩٥ـ١٩٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٢٨٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٢٨٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٥٥ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٩ .

(٥) ذكر نحوه البغوي في تفسيره ٥/ ١٤٤ من دون نسبة ، وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٠٦ .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الرقائق ، باب : أكثر أهل الجنة الفقراء ٤/ ٢٠٩٨ ، والترمذي في جامعه ، كتاب : الفتن ، باب : ما جاء في ما أخبر النبي ﷺ أصحابه ٤/ ٤٨٣ ، وابن ماجه في سننه ، كتاب : الفتن ، باب : فتنة النساء ٢/ ١٣٢٥ ، والإمام أحمد في مسنده ٣/ ١٩ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٩ .

أحسن أم هذا ، والاستفهام لا يعمل فيه ما قبله إلا ما يخبر ، وإنما يعمل فيه ما بعده . ثم أعلم جل وعز أنه [مبيد][(١)] ومُفْن ذلك كله .

٨. بقوله : ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ .

قال أبو عبيد : «الصعيد : المستوي من الأرض»[(٢)] . وقال الزَّجَّاج : «الصعيد : الطريق الذي لا نبات فيه»[(٣)] . ومثله قال المفضل . وقد ذكرنا تفسير الصعيد في آية التيمم[(٤)] .

وأما الجرز فقال الفرَّاء : «الجُرُز : الأرض لا نبات فيها ، يقال : جُرِزَت الأرض فهي مجروزة ، وجَرَزَها الجرادُ أو الشاء أو الإبل أكلت ما عليها»[(٥)] .

وقال الزَّجَّاج : «الجرز : الأرض التي لا تنبت ، كأنها تأكل النَّبْت أكلاً ، يقال : أرض جُرُز ، وأرَضُون أَجْرازٌ»[(٦)] .

وامرأة جَرُوز إذا كانت أكولاً ، وسيف جرَّاز إذا كان مستأصلاً[(٧)] ، ونذكر شيئاً من هذا عند قوله : ﴿نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ [السجدة :٢٧] إن شاء الله .

---

(١) في الأصل والنسخ جميعها التي اطلعت عليها : (مبتدأ) ، وما أثبته في الأصل هو الصواب عندي ، وهو الذي يدل عليه السياق ، وهو المثبت في تفسيره الوسيط .

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٢٧٥ ، وتهذيب اللغة (صعد) ٢/ ٢٠١٤ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٩ .

(٤) عند قوله سبحانه في سورة النساء الآية رقم [٤٣] ، وفي سورة المائدة الآية رقم [٦] : ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء :٤٣] .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٤ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٩ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (جرز) ١/ ٥٨٠ ، ومقاييس اللغة (جرز) ١/ ٤٤١ ، والصحاح (جرز) ٣/ ٨٦٦ ، والمفردات في غريب القرآن (جرز) ٩١ .

قال مجاهد في هذه الآية : «بلاقع ليس فيه نبات»[١] . وقال عطاء عن ابن عباس في هذه الآية : «يريد يوم القيامة يجعل الله الأرض جرزاً ليس فيها ماء ولا نبات»[٢] .

٩. قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ الآية . ذكرنا سبب نزول قصة أصحاب الكهف عند قوله : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء :٨٥] . وذكر محمد بن إسحاق سبب نزول هذه القصة مشروحاً ، فقال : «كان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، كان يؤذي رسول الله ﷺ ، وينصب له العداوة ، وكان قدم الحيرة[٣] وتعلم بها أحاديث رستم[٤] ، واسفنديار[٥] ، وكان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلساً ذكر فيه الله تعالى ، وحذر قومه ما أصاب من كان قبلهم من الأمم ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال : وإنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه فهلمُّوا أحدِّثكم بأحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ، فبعثته قريش ، وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط[٦] إلى أحبار يهود [بالمدينة ،

(١) جامع البيان ١٥/ ١٩٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨١ ، وتفسير مجاهد ١/ ٣٧٣ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ٩/ ٢٣٦ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٦ ، ١٠٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٥٦ .

(٣) الحِيرة بكسر الحاء وسكون الياء : مدينة مشهورة على ثلاثة أميال من الكوفة ، تقع على نهر يربطها بالفرات ، وكانت مسكناً لملوك العرب في الجاهلية التابعين لمملكة الفرس ، وهي قريبة من النجف . انظر : معجم البلدان ٢/ ٣٢٨ ، ومعجم المعالم الجغرافية ١٠٧ .

(٤) رستم الشديد بن دستان بن بريمان ، من ملوك الفرس . انظر : تاريخ الطبري ١/ ٥٠٤ ، والروض الأنف ٢/ ٥٢ ، والكامل في التاريخ ١/ ١٣٧ .

(٥) اسفنديار بن بشتاسب ، من ملوك الفرس . انظر : تاريخ الطبري ١/ ٥٦٢ ، والروض الأنف ٢/ ٥٢ ، والكامل في التاريخ ١/ ١٥٤ .

(٦) عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبدشمس بن أبي معيط ، من مقدمي قريش في الجاهلية ، كنيته أبو الوليد ، وكنية أبيه أبو معيط ، كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة ، أسر يوم بدر وقتل وصلب . انظر : الروض الأنف ٢/ ٧٦ ، وابن الأثير ٢/ ٢٧ ، والأعلام ٤/ ٢٤٠ .

وقالوا لهما : سلوا عن محمد ، وعن صفته ، وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود][1] عن رسول الله ﷺ ، ووصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بأمره وببعض قوله ، فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث : عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ؟ فإنه كان لهم حديث عجب ، وعن رجل طوَّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبأه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟ فإن أخبركم فهو نبي فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فهو متقوِّل . فأقبل النضر بن الحارث وصاحبه حتى قدما مكة وقالا : قد جئناكم بفصل ما بيننا وبين محمد ، وأخبراهم بما قالت اليهود . فجاؤوا رسول الله ﷺ وسألوه عن هذه الأشياء ، فقال رسول الله ﷺ : «أخبركم بما سألتم عنه غداً» . ولم يستثن ، فانصرفوا عنه ، فمكث رسول الله ﷺ في ما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً ، ولا يأتيه خبر ، حتى أرجف أهل مكة به ، وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة ، وشقَّ عليه ذلك ، ثم جاءه جبريل من الله -عز وجل- بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبة الله إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوا عنه من أمر الفتية ، والرجل الطوَّاف»[2] .

وافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله لما أنكروه عليه من ذلك وهو قول : ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف :١] ، فذكر أنه أنزل عليه القرآن

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٢) جامع البيان ١٥/ ١٩٧ ، وبحر العلوم ٢/ ٢٩٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٢٩ـ٢٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٣ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٠ ، وأسباب النزول للواحدي ٣٠٦ ، ولباب النقول في أسباب النزول ١٤٣ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢٠٨ ، والفتح السماوي ٢/ ٤٩٤ .

للإنذار والتبشير إلى قوله : ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ ، يعني قريشاً في قولهم : الملائكة بنات الله[١] .

ثم عاتبه على حزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم من الإسلام بقوله : ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ الآية ، ثم قال : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أيهم أتبعُ لأمري وأعمل بطاعتي ، ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ ، يعني أنَّ ما على الأرض فانٍ زائل ، وأن المرجع إلي فأجزي كلًّا بعمله ، فلا يحزنك ما ترى وتسمع .

ثم أخبر عن ما سألوه عنه من شأن الفتية ، فقال : ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ . فقال أبو إسحاق : «معناه : بل حسبت»[٢] . والكلام في ﴿أَمْ﴾ في مثل هذا الموضع قد ذكرناه في قوله : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة :٢١٤] ، وفي غيره من مواضع[٣] .

وقوله : ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ يعني أولئك الفتية الذين سئل عن قصتهم[٤] .

---

(١) نحو قوله تعالى في سورة النحل الآية رقم [٥٧] : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ ، وقوله سبحانه في سورة الصافات الآية رقم [١٤٩] : ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ .

(٢) معاني القرآن ١/ ٢٨٥ .

(٣) نحو قوله سبحانه في سورة البقرة الآية رقم [١٠٨] : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾ . وقوله سبحانه في سورة السجدة الآية رقم : [٣] : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ .

(٤) في نسخة : (س) : (بعضهم) ، وهو تصحيف .

و﴿ٱلْكَهْفِ﴾ قال الليث : «كالمغارة في الجبل»[١] . روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال : «كل القرآن أعلمه إلا أربعة : غسلين[٢] ، وحنان[٣] ، والأواه[٤] ، والرقيم»[٥] .

وروى عكرمة أيضاً عن ابن عباس أنه سئل عن الرقيم ، فقال : «زعم كعب أنها القرية التي خرجوا منها»[٦] ، ونحو هذا قال السدي[٧] .

وروي عن ابن أبي طلحة عنه قال : «الرَّقِيم : الكتاب»[٨] .

وهو قول مجاهد[٩] . وسعيد بن جبير قال : «الرَّقِيم : لوح من حجارة»[١٠] .

---

(١) تهذيب اللغة (كهف) ٤/ ٣١٩٩ .

(٢) الواردة في قوله سبحانه : ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة :٣٦] .

(٣) في قوله تعالى : ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم :١٣] .

(٤) في قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة :١١٤] . ومثلها قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود :٧٥] .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٣٩٧ ، وجامع البيان ١٥/ ١٩٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٢ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٤ .

(٦) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٣٩٧ ، وجامع البيان ١٥/ ١٩٨ ، وبحر العلوم ٢/ ٢٩٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٣ .

(٧) المحرر الوجيز ٩/ ٢٣٧ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٨ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، والتفسير الكبير ١١/ ٨٢ .

(٨) جامع البيان ١٥/ ١٩٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٢ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٣ ، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٩) جامع البيان ١٥/ ١٩٨ ، ١٩٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٢ عن ابن عباس ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٤ عزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(١٠) جامع البيان ١٥/ ١٩٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٨٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٢ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٤ .

وقيل : «من رصاص كتب فيه أسماؤهم وقصتهم ، وجعل في البناء على باب الكهف»[١] ، ونحو هذا قال عطاء عن ابن عباس[٢] ، وهو قول جميع أهل المعاني والعربية قالوا : «الرقيم : الكتاب»[٣] .

والأصل فيه المرقوم ثم حُول إلى فعيل ، والرَّقْم : الكتابة ، ومنه قوله عز وجل : ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين :٩] ؛ أي مكتوب ، وأنشدوا[٤] :

سأرقمُ في الماءِ القراحِ إليكُمُ ... على بعدِكُمْ إنْ كانَ في الماءِ راقمُ

وقال الفرَّاء : «الرقيم : لوح كان فيه أسماؤهم»[٥] ، ونرى أنه إنما سُمِّي رقيماً ؛ لأن أسماءهم كانت مرقومة[٦] فيه[٧] .

---

(١) بحر العلوم ٢/ ٢٩٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٤ ، ١٤٥ ، والكشاف ٢/ ٣٨١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٨٣ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠١ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ١٩٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٤ ، ١٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٧ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٤ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٩ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٤ ، وإملاء ما منَّ به الرحمن ١/ ٣٩٥ ، وتهذيب اللغة رقم ٢/ ١٤٥٤ ، ومقاييس اللغة رقم ٢/ ٤٢٥ ، والمفردات في غريب القرآن ، رقم (٢٠١) .

(٤) لم أهتد إلى قائله ، وذكرته كتب اللغة من دون نسبة . القَرَاح : الماء الذي لا يخالطه شيء يطيب به كالعسل والتمر والزبيب . انظر : تهذيب اللغة رقم ٢/ ١٤٥٤ ، ومقاييس اللغة رقم ٢/ ٤٢٥ ، ولسان العرب رقم ٣/ ١٧٠٩ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٤ .

(٦) في (ص) : (من قومه) ، وهو تصحيف .

(٧) وهذا القول هو الراجح ، وهو الذي تعضده اللغة ، ورجحه أكثر المفسرين . انظر : جامع البيان ١٥/ ١٩٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٢ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٤٥٤ ، ولسان العرب رقم ٣/ ١٧١٠ .

وقولــه تعــالى : ﴿كَانُوٓاْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ قال مجاهد ، وســفيان : «لم يكونوا بأعجب آياتنا»[١] . قال المفضل : «أم حسبت أنهم كانوا عجباً من آياتنا فقط ، فلا يحســن ذلك ، فإن آياتنا كلها عجب»[٢] . وقال أبو إســحاق : «أعلم الله أن قصة أصحاب الكهف ليست بعجيبة من آيات الله ؛ لأن خلق السموات والأرض وما بينهما مما يشــاهد أعجب من قصة أصحاب الكهف»[٣] . والعجب هاهنا مصدر سمي المفعول به .

والتقدير : كانوا معجوباً منهم ، فسموا بالمصدر ، والمفعول من هذا يستعمل باسم المصدر[٤] .

١٠. قوله تعــالى : ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ﴾ ، (إِذْ) هنا لا يجوز أن يكون متعلقاً بما قبلــه على تقدير : أم حســبت إذ أوى الفتية ؛ لأنــه كان بين النبي ﷺ وبينهم مدة طويلة ، فلم يتعلق الحســبان بذلك الوقت الذي أووا فيه إلى الكهف ، وإذ يتعلق بمحذوف كأنه قيل : اذكر إذا أوى[٥] . كما قلنا في مواضع كثــيرة . ومعنى ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ : صاروا إليه وجعلوه مأواهم[٦] .

---

(١) جامع البيان ١٥/ ١٩٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٤ من دون نســبة ، وتفســير القرآن العظيم ٣/ ٨٢ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٤ .

(٢) ذكرته كتب التفســير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ١٩٧ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٥ ب ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٣٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٤ ، وزاد المســير ٥/ ١٠٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٢ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٠ .

(٤) الكشاف ٢/ ٣٨١ ، والدر المصون ٧/ ٤٤٦ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠١ ، والتفسير الكبير ١١/ ٨٣ .

(٥) الدر المصون ٧/ ٤٤٦ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠٢ ، والتفسير الكبير ١١/ ٨٣ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ٣٩٥ .

(٦) زاد المسير ٥/ ١٠٨ ، والتفسير الكبير ١١/ ٨٣ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٠ .

قال ابن عباس : «يريد هربوا إلى الكهف»[١] . وذكرنا الكلام في الفتية عند قوله : ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ﴾ [يوسف :٦٢] في سورة يوسف .

وقوله تعالى : ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أخبر الله تعالى أنهم لما هربوا عمن يطلبهم اشتغلوا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى : ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ ؛ أي أعطنا من عندك مغفرة ورزقاً[٢] .

قال ابن عباس : «يريدون تغنينا بها عن جميع من سواك»[٣] ، يعني أن قولهم : ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ تتضمن هذا المعنى .

وقوله تعالى : ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾ ؛ أي أصلح ، من قولك : هيأت الأمر فتهيأ ﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ الرَّشَد ، والرُّشْد ، والرَّشاد ، والرّشَاد : نقيض الضلال[٤] .

قال أبو إسحاق : «أي أرشدنا إلى ما يقرب منك ويزلف عندك»[٥] . وهذا معنى قول ابن عباس : «أرشد أفعالنا إلى محبتك»[٦] . وقال أهل المعاني : «تقدير

---

(١) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/ ٢٨٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٣٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٨ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٥٥ ، بمعناه ، والكشاف ٢/ ٣٨١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٩ .

(٣) ذكر نحوه ابن الجوزي بلا نسبة في زاد المسير ٥/ ١٠٩ ، والرازي في التفسير الكبير ٢١/ ٨٣ ، والألوسي في روح المعاني ١٥/ ٢١١ .

(٤) زاد المسير ٥/ ١٠٩ ، والتفسير الكبير ١١/ ٨٣ ، وتهذيب اللغة (رشد) ٢/ ١٤١١ ، ومقاييس اللغة (رشد) ٢/ ٣١٨ ، ولسان العرب ٣/ ١٦٤٩ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٠ .

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة .
انظر : زاد المسير ٥/ ١٠٩ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٨٣ ، وروح المعاني ١٥/ ٢١١ ، وأنوار التنزيل ٣/ ٢١٧ .

الآية : هيئ لنا من أمرنا ذا رشـد»[١] ؛ أي أمراً ذا رشـد . فحذف الموصوف ، ثم حذف المضاف أيضاً ، كأنهم قالوا : هيئ لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد .

١١. قولـه تعـالى : ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ . قـال المفـسرون : «معناه : أنمناهم»[٢] .

قال أبو إسحاق : «أي منعناهم أن يسـمعوا ؛ لأن النائم إذا سمع انتبه»[٣] . فالمعنى : أنمناهم ومنعناهم السـمع . وهذا معنى قول ابن عباس : «فضربنا على آذانهم بالنوم»[٤] . والمعنى : سـددنا آذانهم بالنوم الغالـب عن نفوذ الأصوات إليها ، ومن هذا النظم قال الأسود بن يَعْفُر[٥] :

ومنَ الحَـوادِثِ لا أَبا لَـكِ أنَّني ضـربَتْ عليَّ الأرضُ بالأسْدَادِ

وذلك أنه كان ضريـراً لا يتمكن من المـشي في الأرض ، فكأن الأرض قد ضربت بالأسداد عليه ، حيث منع من التصرف .

وقولـه تعـالى : ﴿فِي ٱلْكَهْفِ﴾ بيـان أن محل الـضرب على آذانهـم بالنوم كان في الكهـف ، فهو ظرف لـه بمنزلة المكان . ثم ذكر ظـرف الزمان ، فقال :

---

(١) التفسير الكبير ١١/ ٨٣ .

(٢) جامع البيـان ١٥/ ٢٠٤ ، وبحر العلوم ٢/ ٢٩٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٥٥ ، والكشـاف ٢/ ٣٨١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٩ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧١ .

(٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٠٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٤٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٥٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٦٣ .

(٥) البيت للأسود بن يعفر النهشـلي . الأسْدَاد : جمع سد ، وهو الحاجز بين الشيئين ، يشير هنا إلى ضعفه فقد عمي . انظر : ديوانه ٢٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٦٣ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠٣ ، والدر المصون ٧/ ٤٤٧ ، والمفضليات ٢١٦ ، واللامات ١٠٣ ، ولسان العرب (سدد) ٤/ ١٩٦٩ .

﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ ، وذكرُ العدد هاهنا يفيد كثرة السنين[١] ، وكذلك كل شيء مما يعد إذا كثر فيه العدد ووصف به أريد كثرته ؛ لأنه إذا قلَّ فُهِم مقداره فلم يحتج أن يعد ، وإذا كثر احتيج إلى أن يُعد ، فإذا قلت : أقمت أياماً عدداً . أردت به الكثرة[٢] . وفي انتصابه وجهان ؛ أحدهما : أنه نعت للسنين . المعنى : سنين ذات عدد ؛ أي معدودة ، هذا قول الفرَّاء ، والزَّجَّاج[٣] .

وعلى هذا يجوز في الآية ضربان من التقدير ؛ أحدهما : حذف المضاف . والثاني : تسمية المفعول باسم المصدر . قال الزَّجَّاج : «ويجوز أن ينتصب على المصدر ، المعنى : نعد عدداً»[٤] .

١٢ . قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد من بعد نومهم»[٥] ، يعني أيقظناهم بعد نومهم ، وقوله تعالى : ﴿لِنَعْلَمَ﴾ المفسرون يقولون في هذا : «لنرى»[٦] .

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ١٥٥ ، والكشاف ٢/ ٢٨١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٦٣ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠٣ .

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٧١ ، والتفسير الكبير ١١/ ٨٣ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٥ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧١ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧١ .

(٥) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ١٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٦٤ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠٣ .

(٦) معالم التنزيل ٥/ ١٥٥ ، بمعناه ، وزاد المسير ٥/ ١١٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٦٤ وعلمه ـ سبحانه وتعالى ـ كامل محيط بكل شيء جملة وتفصيلاً ، فالله يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون ، والعلم صفة من صفاته سبحانه نثبتها له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل .
قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٢٤ : (لنعلم أي الحزبين) ؛ أي لنعلم ذلك علماً يظهر الحقيقة للناس ، فلا ينافي أنه كان عالماً به قبل ذلك من دون خلقه . وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٣٢ ، والعقيدة الواسطية .

وقد تكلمنا في مثل هذا عند قوله : ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [البقرة :١٤٣] في سورة البقرة ، وقوله : ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ [آل عمران :١٤٢] في سورة آل عمران .

وقوله تعالى : ﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾ الآية ، ﴿أَيُّ﴾ رفع بأحصى على الابتداء والخبر ، ولم يوقع العلم على شيء منهما في الظاهر ، وهو في الباطن واقع على ما يتضمنان من القصة ، كما تقول : اذهب فاعلم أيهم قام[١] . قال الله تعالى : ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم :٤٠] . و﴿أَيُّ﴾ من حروف الاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله ، سوى ما يجر ، وذكرنا هذا . وسنذكر استقصاء المسألة عند قوله : ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ [مريم :٦٩] إن شاء الله .

واختلفوا في الحزبين ، فقال عطاء عن ابن عباس : «الحزبين الملوك الذين تداولوا المدينة مَلِكاً بعد مَلِك ، وأصحاب الكهف حزب والملوك حزب»[٢] . وقال مجاهد : «الحزبين من قوم الفتية»[٣] . وقال الكلبي : «يعني المؤمنين والكافرين»[٤] .

وحكى الفرَّاء : «أن طائفتين من المسلمين في دهر أصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم»[٥] . قال من اختار هذا القول : «تنازع المسلمون الأولون أصحاب الملك الذي أطلقه الله تعالى على أصحاب الكهف ، والمسلمون الذين أسلموا

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧١ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٧ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٧ .

(٢) البحر المحيط ٦/ ١٠٣ ، والتفسير الكبير ١١/ ٨٤ ، وروح المعاني ١٥/ ٢١٢ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٠٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٢٨٩ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠٣ ، والتفسير الكبير ١١/ ٨٤ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٩ وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) النكت والعيون ٣/ ٢٨٩ ، وزاد المسير ٥/ ١١٤ ذكره من دون نسبة ، وروح المعاني ١٥/ ٢١٢ ، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٢٩٢ بلا نسبة .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٦ .

حين رأوا أصحاب الكهف في قدر مدة لبثهم في الكهف»[١] . فهذا ما وجدته للمفسرين في هذه الآية ، وهو غير مقنع ، ولا كاف ، إذ لم يفتح غلقاً .

وقال صاحب النظم : [«هذا ما قصه ربنا][٢] في ما بعد هذا الفصل في قوله : ﴿بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ إلى قوله : ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف :١٩] ، وهذا يدل على تنازع كان في ما بينهم في ما لبثوا ، وكان ذلك سبب بعث الله إياهم ، كما أعلمنا عز وجل وهو عالم بما كان منهم ، وبما يكون قبل أن يكون ، ويتعالى عن أن يكون شيء سبباً لعلمه ، والتأويل إن شاء الله : ثم بعثناهم ليكون ذلك منهم ؛ أي تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم»[٣] . فجعل صاحب النظم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ هاهنا بمعنى ليكون ذلك لنعلم كائناً قال الله تعالى : ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد :٣٣] ؛ أي بما ليس ولا يعلمه كائناً .

قال : «والحزبان جميعاً من أصحاب الكهف ، أنهم قالوا هذا القول منكرين على من قال : ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف :١٩] ، فدلَّ هذا على أن أصحاب الكهف كانوا حزبين»[٤] ، هذا كلامه ، وهو بعيد ؛ لأنه يجعل معنى قوله : ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ [الكهف :١٢] ، بمعنى : ليكون بينهم تساؤل وتنازع ، وهذه العبارة التي في نظم الآية لا ينسى عن هذا المعنى الذي[٥] ذكره ، وقد ارتكب في كتابه أشياء بعيدة لم أحكها لبعدها . ومعنى الآية على ما ذكره المفسرون : قتادة ، ومجاهد ، وغيرهما : «ليعلم أي الحزبين من المؤمنين والكافرين

---

(١) المحرر الوجيز ١٠/ ٣٧١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٦٤ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠٤ ، وروح المعاني ١٥/ ٢١٢ .

(٢) ما بين المعقوفين ورد في النسخ جميعها بلفظ : «هذه مقتصة من بناجا» ، وما أثبته هو الصواب إن شاء الله ، والموافق للسياق .

(٣) ذكر نحوه الرازي في التفسير الكبير ٢١/ ٨٣ .

(٤) ذكر نحوه الرازي في التفسير الكبير ٢١/ ٨٤ .

(٥) قوله : (الذي) ، ساقط من نسخة (ص) .

من قوم أصحاب الكهف عدَّ أمد لبثهم وعلم ذلك ، وكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف ، وخروجهم من بيتهم ، فبعثهم الله ليبين ذلك ويظهر»[1] .

وأما وجه نصب قوله : ﴿أَمَدًا﴾ فقال الفرَّاء : «ويكون نصبه على وجهين : إن شئت جعلته خرج من أحصى مفسراً ، كما تقول أي الحزبين أصوب قولاً ، وإن شئت أوقعت عليه اللُّباث للباثهم أمداً»[2] .

وقال أبو إسحاق نحو هذا سواء ، فقال : «﴿أَمَدًا﴾ منصوب على نوعين : وهو على التمييز ، إن شئت كان على أحصى أمداً ، فيكون العامل فيه أحصى ، كأنه قيل : لنعلم أهؤلاء أحصى للأمد أم هؤلاء ؟ والوجه الثاني : أن يكون منصوباً بـ (لبثوا) ، ويكون أحصى متعلقاً بلما ، فيكون المعنى أيُّ الحزبين أحصى للبثهم في الأمد»[3] .

قال أبو علي الفارسي : «إن انتصاب الأمد بالتمييز عندي ممتنع غير مستقيم ؛ وذلك أنه لا يخلو من أن يحمل أحصى على أن يكون فعلاً ماضياً ، أو أفعل نحو : أحسن وأعلم ، فلا يجوز أن يكون أحصى أفعل ، وغير مثال الماضي لأمرين ؛ أحدهما : أنه يقال : أحصى يحصي في التنزيل : ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة :٦] ، وأفعل يفعل لا يقال منه : هو أفعل من كذا ، فأما قولهم : ما أولاه للخير ، وما أعطاه للدرهم ، فمن الشاذ النادر الذي حكمه أن يحفظ لقلته ، وسبيل ما كان كذلك ألَّا يقاس عليه ، ولا يجوز أن يكون أحصى أفعل من كذا لهذا . والأمر الآخر : هو أن ما ينتصب على التمييز في نحو : هو أكثر منك مالاً ، وأحسن وجهاً ، وأغزر علماً ، هو في المعنى فاعل ، وإن كان في اللفظ منتصباً ، ألا ترى

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٠٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٢٩٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٢٨٩ ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٥٢ ، وزاد المسير ٥/ ١١٤ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٩ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٦ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧١ .

أن الأمد ليس هو الذي أحصى ، فهو خارج عن ما عليه[١] الأسماء المنتصبة على التمييز ، وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون منها كان (أحصى) مثالاً ماضياً ، ويكون المعنى : لنعلم أي الحزبين أحصى أمداً للبثهم ، فيكون الأمد على هذا منتصباً بأنه مفعول به ، والعامل فيه أحصى الذي هو فعل ، ومن قدَّر أن (أحصى) أفعل من كذا فمخطئ لما ذكرنا»[٢] .

وهذا الذي ذكره أبو علي قول ثالث ؛ لأن ﴿أَمَدًا﴾ عند الفرَّاء وأبي إسحاق : ينتصب إما على التمييز ، أو على الظرف ، وعند أبي علي أنه مفعول به[٣] . قال[٤] : «ويجوز مع تأويل أحصى أفعل من كذا أن ينتصب الأمد بـ (لبثوا) ، ويكون المعنى : للبثهم أمداً ؛ أي في الأمد ، ويتصل أحصى باللام ، قال : وهذا القول مستكره ؛ لأنك جعلت أحصى أفعل من كذا . قال : ومن قدَّر أحصى فعلاً وقدَّر انتصاب الأمد بـ (لبثوا) دون أحصى فقد أساء ، وعدل بالكلام عن وجهه ، ألا ترى أن الكلام : أحصيت كذا ، وفي التنزيل ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة :٦] ، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن :٢٨] ، فأوصل الفعل بلا حرف ، وإذا كان تأويله انتصاب الأمد بـ (لبثوا) يؤدي إلى أن الفعل الذي هو أحصى المتعدي بلا حرف يتعدى بحرف استقبحنا هذا التأويل ، وكرهناه ، واستبعدناه»[٥] .

---

(١) في نسخة (ص) : «عن حد ما عليه» .

(٢) الإغفال في ما أغفله الزَّجَّاج من المعاني ٩٣٢ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٦ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧١ ، والإغفال في ما أغفله الزَّجَّاج من المعاني ٩٣٢ .

(٤) لفظ : «قال» ، ساقط من نسخة (س) .

(٥) الإغفال في ما أغفله الزَّجَّاج من المعاني ٩٣٨ .

١٤. قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾. قال المفسرون: «ألهمناها الصبر وثبتناها»[١].

وذكرنا معنى الربط على القلب في سورة الأنفال[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا﴾. قال عطاء ومقاتل: «يعني من النوم»[٣]. وهذا يتعدَّى من وجوه؛ أحدها: أن الله تعالى استأنف قصتهم بقوله: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [الكهف: ١٢]، فلأنه قال: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وكانوا قد قالوا هذا قبل نومهم في الكهف، ولكن الوجه تفسير ﴿قَامُوا﴾: «أنهم قاموا بين يدي ملكهم دقيانوس الجبار الذي كان يفتن أهل الإيمان عن دينهم، فربط الله على قلوبهم باليقين والصبر حتى قالوا بين يديه: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وذلك أنه كان يدعو الناس إلى عبادة الأصنام، والذبح للطواغيت، فثبت الله هؤلاء الفتية وعصمهم، حتى عصوا ذلك الجبار وأقروا بربوبية الله ووحدانيته، وأنهم إن دعوا غيره وعبدوه كان ذلك شططاً»[٤].

وفي تفسير سبل عن مجاهد قال: «إنهم أبناء عظماء مدينتهم، فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد، فقال رجل منهم هو أسن القوم: إني لأجد في نفسي شيئاً ما أظن أن أحداً يجده. قالوا: ما تجد؟ قال: أجد في نفسي أن ربي

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٠٧، والنكت والعيون ٣/ ٢٨٩، وزاد المسير ٥/ ١١٥، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٦٥.

(٢) عند قوله سبحانه: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

(٣) البحر المحيط ٦/ ١٠٦، وروح المعاني ١٥/ ٢١٨، والتفسير الكبير ١١/ ٩٨ وقال: وهذا بعيد؛ لأن الله استأنف قصتهم بقوله: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [آية: ١٣].

(٤) هذا قول جمهور المفسرين. انظر: جامع البيان ١٥/ ٢٠٧، ومعالم التنزيل ٥/ ١٥٦، والكشاف ٢/ ٣٨٣، وزاد المسير ٥/ ١١٥، وابن كثير ٣/ ٨٣ـ٨٤.

رب السموات والأرض . فقالوا : نحن كذلك نجده في أنفسنا ، فقاموا جميعاً ، فقالوا : ربنا رب السموات والأرض»[١] .

وقوله تعالى : ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ ؛ أي كذباً وجوراً ، قاله المفسرون[٢] .

ومعنى الشطط في اللغة : مجاوزة القدر[٣] . قال الفرَّاء : «يقال : قد أشطَّ في السَّوم ، إذا جاوز القدر ، ولم أسمع إلا أَشَطَّ ، يُشِطُّ ، إشطَاطاً ، شَطَطاً»[٤] . وحكى الزَّجَّاج وغيره : «شَطَّ الرجل وأَشَطَّ إذا جار»[٥] . ومنه قوله : ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص :٢٢] ، ومثله أَشَطَّ ، وأصل هذا من قولهم : بها شَطَّت الدار ، إذا بعدت ، فالشَّطَطُ في القول بعد عن الحق ، وهو هاهنا منصوب على المصدر ، والمعنى : لقد قلنا إذاً قول شَطَط ، قاله الزَّجَّاج[٦] .

١٥ . وقوله تعالى : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ هذا من قول أصحاب الكهف ، ويعنون الذين كانوا في زمان دقيانوس عبدوا الأصنام ، ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ بحجة بينة .

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٠٧ ، وزاد المسير ٥/ ١١٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٦٥ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٨ وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٠٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٥٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٥١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٤ .

(٣) مقاييس اللغة (شط) ٣/ ١٦٥ ، والقاموس المحيط (شط) ٦٧٤ ، ولسان العرب (شطط) ٤/ ٢٢٦٣ ، والمفردات في غريب القرآن (شطط) ٢٦٠ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٤٠٣ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٢ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ١٧٢ .

قال الزَّجَّاج : «ومعنى ﴿عَلَيْهِم﴾ ؛ أي على عبادة الآلهة»[١] . وهذا قول يوجب تقدير حذف المضاف ، أي هلا يأتون على عبادتهم ، أو على اتخاذهم بسلطان بين ، ثم حذف المضاف[٢] .

وقال صاحب النظم : «ظاهر قوله : ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ﴾ ، حث وسؤال ، وتأويله نفي وإبطال ، على معنى : اتخذوا من دونه آلهة لا يأتون عليهم بسلطان ؛ لأن في قولك : لولا فعلت كذا ، دليل على أنه لم يفعله ، وكان من حقه أن يفعل ، وهذا من باب الإيماء إلى الشيء بالشيء» . انتهى كلامه[٣] . وعلى قوله أيضاً يرجع حقيقة التأويل إلى تقدير حذف المضاف ؛ لأن معنى ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾ لا يأتون على عبادتهم ؛ أي على عبادة الآلهة ، على هذا يحسن الكلام ؛ لأن الحجة على الآلهة ضد الحجة لهم ، فلا بُدَّ من تقدير حذف المضاف ، وإذا كان كذلك فالقول الأول أولى ؛ لأنه لا يحتاج فيه إلى العدول عن ظاهر قوله : ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ﴾ ، والكناية في قوله : ﴿عَلَيْهِم﴾ يجوز أن تكون عن القوم في قوله : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا﴾ وهو الظاهر ، ويجوز أن تكون عن الآلهة .

١٦. وقوله تعالى : ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «هذا من قول تمليخا ، وهو رئيس أصحاب الكهف ، قال لهم : وإذا اعتزلتموهم ؛ أي فارقتموهم وتنحيتم عنهم جانباً ، يعني عبدة الأصنام»[٤] .

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ . قال أبو إسحاق : «﴿مَّا﴾ نصب ، المعنى : واعتزلتم ما يعبدون إلا الله ، فإنكم لن تتركوا عبادته»[٥] ، وذلك أنهم كانوا يشركون بالله ،

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٢ .
(٢) الكشاف ٢/ ٣٨٢ ، والدر المصون ٧/ ٤٥٤ ، وروح المعاني ١٥/ ٢١٩ .
(٣) ذكر نحوه الرازي في التفسير الكبير ٢١/ ٩٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠٦ ، وروح المعاني ١٥/ ٢١٩ .
(٤) زاد المسير ٥/ ١١٦ ، والبحر المحيط ١٥/ ١٠٧ .
(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٢ .

فقال : اعتزلتم الأصنام ولم تعتزلوا الله ولا عبادته ، وهذا قول الفرَّاء وهو : «أنَّ ﴿مَا﴾ اسم وليس بنفي»[١] .

وروى عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ قال : (يريد لم يعبد أصحاب الكهف إلا الله)[٢] . وهذا يحمل على أن الله أخبر عنهم أنهم لم يعبدوا غيره ، وعلى هذا لا يكون هذا حكاية قولهم ؛ والقول ما قاله الفرَّاء ، والزَّجَّاج ، وأهل التفسير[٣] ، يدل على صحته ما روي أنه في مصحف عبدالله : (وما يعبدون من دون الله)[٤] . وهذا يقطع بكون «ما» اسماً .

وقوله تعالى : ﴿فَأْوُۥٓا إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ قال الفرَّاء : «هذا جواب (إذ) ، كما تقول : إذ فعلت كذا فافعل كذا»[٥] ، ومعناه : صيروا إليه واجعلوه مأواكم .

﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ ؛ أي يبسطها عليكم ، ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ . قال ابن عباس : «يسهل عليكم ما خوفكم من الملك وظلمه ، ويأتيكم من الله اليسر والرفق واللطف»[٦] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٦ .

(٢) ذكرت نحوه كتب التفسير بلا نسبة . انظر : المحرر الوجيز ٩/ ٢٥٣ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠٦ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٢٠ ، وفتح القدير ٣/ ٢٧٣ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٠٩ ، والكشاف ٢/ ٣٨٢ ، وزاد المسير ٥/ ١١٦ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٦ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٢ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٠٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٥٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٥٣ ، وزاد المسير ٥/ ٨١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٦٧ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٦ .

(٦) زاد المسير ٥/ ١١٦ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠٧ .

وقال الكلبـــي : «يعني غداء يأكلونـــه»[١] . ويقال : (مخرجـــاً)[٢] . وكل ما ارتفقت به فهو مِرْفَق ، ويقال فيه أيضاً : مَرْفَق ، ويقال فيه أيضاً : مَرْفِق بفتح الميم وكـــسر الفاء ، كقراءة أهل المدينة[٣] ، وهما لغتان في مِرْفَق اليد ، والأمر ، والمتكأ ، قال أبو عبيدة : «الـــمَرْفَق : ما ارتفقت به ، وبعضهم يقول : الـمَرْفِق ، فأما ما في اليدين فهو مِرْفَق»[٤] .

وقال الأخفش : «﴿مِّرْفَقًا﴾ ؛ أي شيئاً يَرْتَفِقُون به ، مثل المِقْطَعِ»[٥] .

ومن قرأ : ﴿مِّرْفَقًا﴾ ، جعله اســـماً مثل المسجد ، ويكون لغة . قال أبو علي : «قوله : جعله اســـماً ؛ أي جعل المِرْفَقَ اسماً ، ولم يجعله اسم المكان ولا المصدر من رَفَقَ يَرْفُقُ ، كما أن المسجد ليس باسم الموضع من سَجَدَ يَسْجُدُ ، وقوله : أو يكون لغة ؛ أي لغة في اســـم المصدر ، كما جاء الـــمَطْلِعُ ونحوه ، ولو كان على القياس لفتحت اللام»[٦] .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٠٩ ، وبحر العلوم ٢/ ٢٩٣ .

(٣) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي : (مِرْفَقاً) بكسر الميم وفتح الفاء . وقرأ نافع ، وابن عامر ، والكسائي عن أبي بكر عن عاصم : (مَرْفِقًا) بفتح الميم وكسر الفاء . انظر : الحجة للقراء الســـبعة ٥/ ١٣٠ ، والســـبعة ٣٨٨ ، والغاية ٣٠٥ ، والتبصرة ٢٤٨ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٥٦ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣١٠ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٩٥ .

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٧ .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣١ .

قال الفرَّاء : «وأكثر العرب على كسر الميم ، من الأمر ومن مِرْفَق الإنسان ، والعرب أيضاً تفتح الميم فيهما ، فهما لغتان في هذا وفي هذا»[١] . وكأن الذين فتحوا الميم أرادوا أن يفرقوا بين الـمَرْفَق من الإنسان ، وقال يونس : «الذي أختار الـمَرْفَق في الأمر ، والـمِرْفَق في اليد»[٢] .

وقال الأصمعي : «لا أعرف إلا الكسر فيهما»[٣] ؛ يعني كسر الميم في الأمر واليد ، وذكر قطرب اللغتين جميعاً فيهما[٤] .

١٧ . قوله تعالى : ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ الآية ، التاء في قوله : ﴿وَتَرَى﴾ لمخاطب ؛ أي ترى أنت أيها المخاطب الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم ، وليس أنَّ من خوطب بهذا يرى ذلك ، ولكن العادة في المخاطبة تكون على هذا النحو ، ومعناه : أنك لو رأيته على هذه الصورة[٥] .

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٦ .
(٢) تهذيب اللغة (رفق) ٢/ ١٤٤٤ .
(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٨ .
(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٣ .
(٥) زاد المسير ٥/ ١١٧ ، والقرطبي ١٠/ ٣٦٨ ، والتفسير الكبير ١١/ ٩٩ .

ومعنى ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ . قال ابن عباس : تتنحَّى[١] . وقال في رواية الوالبي : «تميل عنهم»[٢] . ومعنى التَّزَاور : التمايل من الزَّوْر والأزور ، فإن قيل : التَّزاور إنما يستعمل في زيارة بعض الناس بعضاً ، فكيف يحسن استعماله بمعنى الميل ، كما قالوا : تمايل ، أجروا تَزَاور مجرى تمايل ، قال الشاعر[٣] :

كَلَونِ الحِصَانِ الأنبطِ البطنِ قائماً تمايلَ عنهُ الجلُّ واللونُ أشقرُ

وكذلك قالوا : تجانف ، بهذا المعنى[٤] ، وقراءة أهل الكوفة : بحذف تاء التفاعل ، وقرأ ابن عامر : تَزْوَرُّ[٥] . قال أبو الحسن : «لا يوضع في هذا المعنى إنما يقال : هو مزْورٌّ عني ؛ أي منقبض»[٦] . ويدل على أن معنى ازورَّ انقبض قولُ عنترة[٧] :

ازوَرَّ منْ وَقعِ القنَا بِلبانِهِ

---

(١) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : القرطبي ١٠/ ٣٦٨ ، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢١١ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٢٢ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢١٠ ، والدر المنثور ٤/ ٣٩١ وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) البيت لذي الرمة . والنبط : بياض الجنبين ، فإذا كان الفرس أبيض البطن فهو أنبط . قال الليث : النبط والنبطة : بياض تحت أبط الفرس ، وربما عرض حتى يغشى البطن والصدر . انظر : ديوانه ٢٢٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٣ ، وتهذيب اللغة (نبط) ٤/ ٣٤٩٧ ، ولسان العرب (نبط) ٧/ ٤٣٢٦ .

(٤) الزَّوْرُ : الميل في وسط الصدر ، ويقال للقوس : زَوْرَاء لميلها . والإزوار عن الشيء : العدول عنه . انظر : تهذيب اللغة (زار) ٢/ ١٤٩٩ ، واللسان (زور) ٣/ ١٨٨٧ .

(٥) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو : (تَزَّاور) بتشديد الزاي . وقرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي : (تَزَاور) خفيفة . وقرأ ابن عامر : (تَزْور) بغير ألف ، على وزن : تحمر . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣١ ، والسبعة ٣٨٨ ، والغاية ٣٠٥ ، والتبصرة ٢٤٨ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٥٦ .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٢ ، والدر المصون ٧/ ٤٥٧ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٢٢ .

(٧) هذا صدر بيت لعنترة ، وعجزه :

وشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ

ازور من وقع القنا ، أي أعرض الفرس لما رأى الرماح تقع بنحره . واللبان : الصدر ، وقيل : ما بين الثديين ويكون للإنسان وغيره . والتحمحم : الصوت الخفي ، فإن اشتد فهو الصهيل . انظر : ديوانه ١٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٨٦ .

أي انقبض . والذي حسَّن القراءة به قول جرير[١] :

وفي الأَظْعَانِ عنْ طلحَ ازْورارُ

فظاهر استعمال هذا في الأظعان مثل استعماله في الشمس[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ ؛ أي ناحية اليمين ، فذات هاهنا صفة قامت مقام الموصوف ، كأنه قيل : ناحية ذات اليمين . قال الأخفش : (وهو نصب على الظرف)[٣] .

وقوله تعالى : ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾ قال الوالبي عن ابن عباس : (تذرهم)[٤] .

وقال قتادة : (تدعهم)[٥] . وقال مقاتل : (تجاوزهم)[٦] .

وقال الأخفش ، والزَّجَّاج ، وأبو عبيدة : (تعدل عنهم وتتركهم)[٧] . وقال الكسائي : (قرضت المكان ، أي عدلت عنه)[٨] .

---

(١) هذا عجز بيت لجرير . وصدره :

عَسَفْنَ عَلَى الأماعزِ منْ حبِّي

عسفن : عدلن . والأماعز : الواحد أمعز : وهو المكان الصلب الكثير الحجارة والحصى . وطلح : مكان . انظر : ديوانه ١٨٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٣ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٣ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٧ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢١٢ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٨أ .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ١/ ٣٣٦ ، وجامع البيان ١٥/ ٢١٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٦٩ .

(٦) الكشف والبيان ٣/ ٣٨٨أ ، وتفسير المشكل لمكي بن أبي طالب ١٤٢ .

(٧) تهذيب اللغة (رفق) ٢/ ١٤٤٤ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٨ .

وأنشد قول ذي الرمة[١] :

إلى ظُعُنٍ يَقْرضْنَ أقوازَ مُشْرِفٍ شِـمالاً وعَـنْ أيمانِهِنَّ الفَـوارِسُ

وقال أبو عبيد : «القرض في أشياء» ؛ فمنها : القطع ، وكذلك السير في البلاد إذا قطعتها ، وأنشد البيت[٢] .

قـال أبو عبيدة : «تقول لصاحبك : هل وردت مكان كذا ؟ فيقول المجيب : إنما قرضته ذات الشمال ، إذا مرَّ به وتجاوز عنه ، وهو على شماله»[٣] .

قال الكلبي : «يقول إذا طلعت الشـمس مالت عـن كهفهم ذات اليمين ، يعني : يمين الكهف ، وإذا غربت تمر بهم ذات الشـمال ، يعني : شمال الكهف لا تصيبه ، وكان كهفهم نحو بنات نعش[٤] في أرض الروم»[٥] .

---

(١) البيت لذي الرمة .
القَوَز : كثيب الرمل المستدير . ومشرف ، والفوارس : موضعان . انظر : ديوانه ٣١٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٥٧ ، والكشاف ٢/ ٣٨٨ ، والبحر المحيط ٦/ ٩٣ ، وتهذيب اللغة (قرض) ٣/ ٢٩٣٢ ، والدر المصون ٧/ ٤٥٨ ، ولسان العرب (قرض) ٦/ ٣٥٩٠ .

(٢) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (قرض) ٣/ ٢٩٣٢ .

(٣) ذكره في مجاز القرآن ١/ ٣٩٦ .

(٤) بنات نعش : سبعة كواكب ، فأربعة منها نعش ؛ لأنها مربعة ، وثلاثة منها بنات ، يقال للواحد منها : ابن نعش ؛ لأن الكوكب مذكر . انظر : تهذيب اللغة (نعش) ٤/ ٣٦١١ ، ومقاييس اللغة (نعش) ٥/ ٤٥٠ ، ولسان العرب (نعش) ٧/ ٤٤٧٤ ، والقاموس المحيط (نعش) ٦٠٧ .

(٥) زاد المسير ٥/ ١٥٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٦٩ ، وذكره الكشف والبيان ٣/ ٣٨٨أ بلا نسبة .

وقال المفسرون : «أعلم الله تعالى أنه ثواهم في مَقْنَاة[١] من الكهف مستقبلاً بنات نعش ، تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة ، لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرها ، وتغير أوانهم ، وتبلي ثيابهم»[٢] .

وقال أبو علي الفارسي : «إذا مالت الشمس عنهم إذا طلعت ، وتجاوزتهم إذا غربت ، دلَّ أن الشمس لا تصيبهم ألبتة ، أو في أكثر الأمر ، فتكون صورهم محفوظة»[٣] .

هذا الذي ذكرنا قول المفسرين قالوا في سبب ميل الشمس عنهم : «إنهم كانوا في مَقْنَاة»[٤] . وقال أبو إسحاق : «هذا التفسير ليس ببين ، إنما جعل الله فيهم هذه الآية أن الشمس لا تقربهم في مطلعها ولا عند غروبها»[٥] ، ودلَّ عليه قوله : ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ؛ يعني : أن الله تعالى بقدرته[٦] حبس عنهم ضوء الشمس وحرَّها عند طلوعها وغروبها ، فلا تنالهم طالعة ولا غاربة ، لا بكونهم في مكان لا تصيبه الشمس ، ولكن بقدرة الله تعالى جعل ذلك آية من آياته ، كما قال : ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[٧] .

---

(١) المَقْنُوَةُ ، خفيفة ، من الظل : حيث لا تصيبه الشمس في الشتاء . قال أبو عمر : مَقْنَاةٌ ومَقْنُوة بغير همز . وقال ابن السكيت : المَقْنَأَة : المكان الذي لا تصيبه الشمس . انظر : تهذيب اللغة (قنا) ٣/ ٣٠٥٠ ، ولسان العرب (قنأ) ٦/ ٣٧٤٦ .

(٢) الكشف والبيان ٣/ ٣٨٨ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٢٩٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٢٩٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١١٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٥٥ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٤ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ١٥٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٥٥ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠٨ ، وأضواء البيان ٤/ ٤٣٥ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٣ .

(٦) قوله : (بقدرته) ، ساقط من نسخة (س) .

(٧) الكشاف ٢/ ٣٨٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٩٥ . وهذا القول هو الراجح ـ والله أعلم ـ للقرينة القرآنية ، وهي قوله : ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٣٤ : «وأما القول =

ثم أخبر أنهم كانوا في متسع من الكهف ، ينالهم فيه برد الريح ، ونسيم الهوى فقال : «وهم في فجوة منه» ؛ أي من الكهف ، والفجوة : متسع في مكان[١] .

قال أبو عبيدة : «وجمعها فَجَوات»[٢] وفِجَا ، نحو : زَكوات وزِكَاء . ومنه الحديث : «فإذا وجد فجوة نصَّ»[٣][٤] .

وقال مجاهد : «الفجوة : المكان الذاهب»[٥] . يعني : الذاهب في السعة والعرض . قال ابن عباس في قوله : ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ﴾ . «يريد في سعة»[٦] ، ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ؛ أي ذلك التزاور والقرض من دلائل قدرة الله ولطفه بأصحاب الكهف . ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ ، أشار إلى أن الله تعالى هو الذي تولى هداية

---

= الذي تدل القرينة في هذه الآية على صحته فهو أن أصحاب الكهف كانوا في فجوة من الكهف على سمت تصيبه الشمس وتقابله ، إلا أن الله منع ضوء الشمس من الوقوع عليهم على وجه خرق العادة ، كرامة لهؤلاء القوم الصالحين الذين فروا بدينهم طاعة لربهم جل وعلا» .
وقال الشوكاني في تفسيره ٣/ ٣٩٢ : «فإن صرف الشمس عنهم مع توجه الفجوة إلى مكان تصل إليه عادة أنسب بمعنى كونها آية ، ويؤيده أيضاً إطلاق الفجوة وعدم تقيدها بكونها إلى جهة كذا» .
وانظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٣ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠٠ .

(١) انظر : تهذيب اللغة (فج) ١٠/ ٥٠٧ ، ومقاييس اللغة (فجَّ) ٣/ ٢٧٤٢ ، والقاموس المحيط (فج) ٢٠٠ ، والصحاح (فجَّ) ٢٠٦ ، والمفردات في غريب القرآن (فجج) ٣٧٣ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٩٦ .

(٣) النص : نصَّ الدابة ينصها نصّاً : رفعها في السير ، قال أبو عبيد : النص التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها . وأصل النص أقصى الشيء وغايته ، ثم سمي به ضرب من السير سريع . انظر : تهذيب اللغة (نصَّ) ٤/ ٣٥٨٥ ، ولسان العرب (نصص) ٧/ ٤٤٤١ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الجهاد ، باب : السرعة في السير ٣/ ١٠٩٣ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب : الحج ، باب : الإفاضة من عرفات إلى مزدلفة ٢/ ٩٣٦ ، وأبو داود في سننه ، كتاب : الحج ، باب : الدفعة من عرفة ٢/ ٤٧٢ ، والنسائي في سننه ، كتاب : الحج ، باب : كيف يسير من عرفة ٥/ ١٨٣ ، ومالك في الموطأ ، كتاب : الحج ، باب : السير إلى عرفة ١/ ٣٩٢ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ١٤٠ ، وتفسير مجاهد ٤٤٦ .

(٦) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢١٢ـ٢١٣ ، بمعناه ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٨ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٥٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٩٥ .

أصحاب الكهف][1] ، ولولا ذلك لم يهتدوا ، فالمهتدي من هداه الله كهؤلاء ، ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ ، كدقيانوس الكافر وأصحابه .

١٨ . قوله تعالى : ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ معنى هذا الخطاب على ما ذكرنا في قوله : ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾ ؛ أي لو رأيتهم لحسبتهم أيقاظاً ، هو جمع أيقاظ ، ويقظ ، ويقظان ، قاله الأخفش ، وأبو عبيدة ، والزَّجَّاج[2] . وأنشدوا لرؤبة[3] :

ووجدُوا إخوانَهُمْ أيقاظَا

ومثله : نَجْدٌ ، نُجد ، وأَنْجاد .

وقوله تعالى : ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ ؛ أي نائمون ، وهو مصدر سمِّي به ، كما يقال : قوم ركوع ، وقعود ، وسجود ، يوصف الجميع بالمصدر[4] ، ومن قال : إنه جمع راقد ، فقد أبعد ؛ لأنه لم يجمع فاعل على فعول[5] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٤ ، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٦١٧ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٩٦ .

(٣) هذا صدر بيت لرؤبة ، وعجزه :

وسَيفَ غيَّاظٍ لهم غِيَاظا

انظر : ديوانه ٨١ ، ومجاز القرآن ١/ ٣٩٧ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٤ ، وجامع البيان ١٥/ ٢١٣ .

(٤) القرطبي ١٠/ ٣٧٠ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠١ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٢٤ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ١٥٧ ، والدر المصون ٧/ ٤٦٠ ، وقال القاسمي في تفسيره ١٠/ ٤٠٣٢ : «وما قيل أنه مصدر أطلق على الفاعل واستوى فيه القليل والكثير كركوع وقعود ؛ لأن فاعلاً لا يجمع على فعول ، مردود بما نصَّ عليه النحاة كما صرح به في المفصل والتسهيل» .

«وإنما يحسبون أيقاظاً ؛ لأن أعينهم مفتحة وهم نيام»[١] ، قاله الكلبي . وحكى أبو إسحاق : «لكثرة تقلبهم ، يظن أنهم غير نيام . قال : ويدل على هذا قوله : ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾»[٢] ، وعلى هذا يجب أن يكثر تقلبهم .

قال قتادة : «ذكر لنا أن أبا عياض[٣] قال : كان لهم في كل عام تقليبتان»[٤] .

وهو قول أبي هريرة[٥] . قال ابن عباس في رواية عطاء : «لئلا تأكل الأرض لحومهم ، ولا تبليهم»[٦] .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : «يمكثون رقوداً على أيمانهم تسع سنين ، ثم يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقوداً تسع سنين»[٧] . ﴿ذَاتَ﴾ منصوبة على الظرف ؛ لأن المعنى : نقلبهم في ناحية اليمين ، كما قلنا في قوله : ﴿تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ .

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٢٩١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٥٨ ، والكشاف ٢/ ٣٨٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٥٩ ، وقال الألوسي في تفسيره ١٥/ ٢٢٤ : «ولو صحَّ فتح أعينهم بسند يقطع العذر كان أبين في هذا الحسبان» .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٤ .

(٣) عمرو بن الأسود العنسي ، الهمداني ، الدمشقي ، الدارني ، أبو عياض ، مخضرم ، من كبار التابعين ، أخرج له الستة ، وكان من زهاد الشام الكبار ، روى عن عمر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، وروى عنه عدد من التابعين ، توفي ـ رحمه الله ـ في خلافة معاوية رضي الله عنه . انظر : طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٣ ، والجرح والتعديل ٣/ ٢٢٠ ، والحلية لأبي نعيم ٥/ ١٥٥ ، وتهذيب التهذيب ٨/ ٤ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢١٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٦٠ ، ذكره من دون نسبة ، والدر المنثور ٤/ ٢٩١ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠١ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ١٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٧٠ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠١ .

(٦) جامع البيان ١٥/ ٢١٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٥٨ ، وزاد المسير ٥/ ١١٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٥ .

(٧) روح المعاني ١٥/ ٢٢٥ ، وذكره الرازي في التفسير الكبير ١١/ ١٠١ ، وقال : «هذه التقديرات لا سبيل للعقل إليها ، ولفظ القرآن لا يدل عليها ، وما لم يأت فيه خبر صحيح فكيف يعرف ؟» .

وقولــه تعالى : ﴿وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ . قال ابــن عباس وأكثر المفسرين : «هربوا ليلاً من ملكهم ، فمروا براع معه كلب ، فتبعهم على دينهم ومعه كلبه»[١] . وقال كعب : «مــروا بكلب فنبح عليهم فطردوه ، فعاد ففعلوا ذلك مراراً ، فقال لهم الكلب : ما تريدون مني ؟ لا تخشوا جانبي ، أنا أحب أحباء الله ، فناموا حتى أحرسكم»[٢] .

وقال عبيد بن عمير : «كان ذلك كلب صيدهم»[٣] .

ومعنــى : ﴿بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ ؛ أي يلقيهــما عــلى الأرض مبســوطتين غير مقبوضتــين ، ومنه الحديث في الصلاة : أنه نهى عن افتراش الســبع ، وقال : «لا تفترش ذراعيك افتراش السبع»[٤] ، هو أن يضعهما على الأرض ، والذراع : اسم جامع في كل ما يسمى يداً من ذوي الأبدان .

---

(١) المحرر الوجيز ٩/ ٢٦١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٧٠ ، والتفســير الكبير ١١/ ١٠١ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٧٠ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠١ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٢٥ .

(٣) المحرر الوجيــز ٩/ ٢٦١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٧٠ ، وتفســير القــرآن العظيم ٣/ ٨٥ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠١ ، ومحاسن التأويل ١١/ ٤٠٣٢ .

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : الاعتدال في السجود ٢/ ٢٨٨ ، وأبو داود في ســننه ، كتاب : الصلاة ، باب : صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود ١/ ٥٣٩ ، والنسائي في ســننه ، كتاب : التطبيق ، باب : النهي عن بسط الذراعين في السجود ، وأحمد في مسنده ٥/ ٤٤٧ ، وأخرج نحوه الترمذي في جامعه ، كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في الاعتدال في السجود ، حديث رقم (٢٧٥) ، وقال : «هذا حديث حســن صحيــح» ، وأورده ابن الأثير في جامع الأصول ، كتاب : الصلة ، باب : هيئة الركوع والسجود ٥/ ٣٧٤ .

قال الليث : «الذراع : من طرف المرفق إلى أطراف الأصبع الوسطى»[١] . قال ابن السكيت : «الذراع مؤنثة ، تقول : هذه ذراع»[٢] .

قال أبو علي : «لولا حكاية الحال لم يعمل اسم الفاعل في ذراعيه ؛ لأنه إذا مضى اختص وصار معهوداً ، فخرج بذلك من شبه الفعل ، ألا ترى أن الفعل لا يكون معهوداً ، فكما أن اسم الفاعل إذا وصف وحقر لم يعمل عمل الفعل لزوال شبهه عنه ، كذلك إذا كان ماضياً ، ولكن المعنى على حكاية الحال الماضية»[٣] . وهذا الفصل نذكره بأشرح من هذا عند قوله : ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف :٢٢] .

وقوله تعالى : ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ . قال ابن عباس في رواية علي وعطاء : «بالفناء»[٤] ، وهو قول أكثر المفسرين ، قال مجاهد والضحاك : «يعني فناء الكهف»[٥] ، وبه قال أكثر أهل اللغة .

روى أبو عبيد عن الأحمر[٦] : «الوصيد : الفناء»[٧] .

---

(١) تهذيب اللغة (ذرع) ٢/ ١٢٧٧ ، والقاموس المحيط (الذراع) ٧١٦ ، ولسان العرب (ذرع) ٣/ ١٤٩٥ .

(٢) تهذيب اللغة (ذرع) ٢/ ١٢٧٧ ، والقاموس المحيط (الذراع) ٧١٦ ، والصحاح (ذرع) ٣/ ١٢٠٩ .

(٣) الكشاف ٢/ ٣٨٣ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠٩ ، والدر المصون ٧/ ٤٦٠ ، وشرح الكافية الشافية ٢/ ١٠٤٣ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢١٤ ، وتفسير المشكل من غريب القرآن ١٤٢ ، واللغات في القرآن ٣٣ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٤٣ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢١٤ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٧ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٤٥٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٥٨ .

(٦) أبان بن عثمان بن يحيى بن زكريا اللؤلؤي البجلي بالولاء ، أبو عبدالله المعروف بالأحمر ، عالم بالأخبار والأنساب ، أصله من الكوفة ، وكان يسكنها تارة ، ويسكن البصرة تارة أخرى ، أخذ عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وأبو عبدالله بن سلام وغيرهما ، وله مصنفات وكتب . انظر : بغية الوعاة ١٧٧ ، وإنباه الرواة ١/ ١٧٠ ، والأعلام ١/ ٢٧ .

(٧) تهذيب اللغة (وصد) ١/ ١٦٥ .

وقال الزَّجَّاج : «الوصيد : فناء البيت ، وفناء الدار»[١] .

وقال أبو عبيدة : «الوصيد : الفناء ، والجميع وصائد ووصدٌ»[٢] .

وقال يونس والأخفش والفرَّاء : «الوَصِيد والأصَيد لغتان ، مثل : الوِكَاف[٣] والإكاف»[٤] .

وقال الكسائي : «أهل تهامة[٥] يقولون : الوصيد ، وهو الفناء ، وأهل نجد[٦] يقولون : الأصيد ، والقرآن بلغة تهامة نزل»[٧] .

وقال السدي : «الوصيد : الباب ، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس»[٨] . واختيار المبرِّد قال : «﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ عند أهل اللغة : بالباب ؛ أي بحضرة الباب ، يقال : فلان بالباب ، وإنما يراد بحضرة الباب» .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٤ .

(٢) مجاز القرآن ٣/ ٢٧٤ .

(٣) يقال : استوكف : استقطر ، والوكَاف لغة في الإكَاف . والوكفُ : الإثم والعيب ، والوكف : النطع ، والوكَاف والإكَاف : يكون للبعير والحمار والبغل ، والجمع وكف . انظر : تهذيب اللغة (وكف) ٤/ ٣٩٤٦ ، ومقاييس اللغة (وكف) ٦/ ١٣٩ ، والصحاح (وكف) ٤/ ١٤٤١ ، ولسان العرب (وكف) ٨/ ٤٩٠٨ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٧ ، وتهذيب اللغة (وصد) ١/ ١٦٥ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠١ .

(٥) تهَامة بكسر التاء : اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز ومكة من تهامة ، وقيل : تهامة إلى عرق اليمن إلى أسياف البحر إلى الجحفة وذات عرق .
انظر : معجم البلدان ٢/ ٦٣ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٤٤ .

(٦) نَجْد بفتح أوله وسكون ثانيه : اسم للأرض العريضة التي أعلاها تهامة واليمن ، وأسفلها العراق والشام ، فما ارتفع من بطن الرمة فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق . انظر : معجم البلدان ٥/ ٢٦١ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٧٥ .

(٧) جامع البيان ١٥/ ٢١٥ ، وزاد المسير ٥/ ١١٩ ، وتهذيب اللغة (وصد) ١/ ١٦٥ .

(٨) معالم التنزيل ٥/ ١٥٨ ، والكشاف ٢/ ٣٨٣ ، وزاد المسير ٥/ ١١٩ .

وقال عطاء : «الوصيد : عتبة الباب»[١] . وهو اختيار ابن قتيبة قال : «لأنهم يقولون : أوصد بابك ؛ أي أغلقه ، قال : وأصله أن تلصق الباب بالعتبة [إذا أغلقته ، والكهف لم يكن له باب ولا عتبة ، وإنما أراد أن الكلب منه بموضع العتبة من البيت][٢] ، قال : وقد يكون الوصيد الباب نفسه»[٣] ، وأنشد[٤] :

بأرضِ فضاءٍ لا يسدُّ وصيدُهَا عَلَيَّ ومعروفي بها غيرُ منكرِ

ويقال : أصدت الباب ، وأوصدته إذا أطبقته ، وباللغتين قرئ : ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة :٨][٥] . فمن قال : أَصَدت بالهمزة ، قال : الأصيد ، ومن قال : أوصدت ، قال : الوصيد ، ويقال للمطبق : الأصاد والوصاد ، وهذا الاشتقاق يوجب أن يكون معنى الوصيد : الباب المطبق المجافى ، فالذين قالوا : إنه الباب ، وافق قولهم أصل اللفظ في اللغة ، ويكون معنى الوصيد في الكهف : بأنه المسدود ، كما روي في القصة : أن باب الكهف سدَّ عليهم ، والذين قالوا : إنه الفناء ؛ فلأن الكلب إذا كان داخل الكهف وراء بابه المسدود كان بالفناء ؛ لأن ما جاوز فم الكهف كان من جملة الفناء ، والكلب كان في آخر الفناء عند

(١) تفسير المشكل من غريب القرآن ١٤٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٢٩٢ ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٥٤ ، والكشاف ٢/ ٣٨٣ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٢٩٢ .

(٤) البيت ينسب إلى عبيد بن وهب العبسي . انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٢٩٢ ، والبحر المحيط ٦/ ٩٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٥١ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٢٦ ، والدر المصون ٧/ ٤٦١ .

(٥) قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وعاصم في رواية أبي بكر ، والكسائي : (موصدة) بغير همز ، وقرأ أبو عمرو ، وحمزة ، وحفص عن عاصم : (مؤصدة) بالهمز . انظر : السبعة ٦٨٦ ، والتبصرة ٣٨١ ، والمبسوط في القراءات ٤١٠ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٧٧ .

الباب . والقولان صحيحان على ما بينا[١] ، وأما ما روي عن سعيد بن جبير أنه فسر الوصيد : «الصعيد ، والتراب»[٢] ، فإنه أراد الفناء ، ولكنه عبر بالصعيد .

وقوله تعالى : ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ؛ أي أشرفت عليهم ، يقال : أطلعت فلاناً على الشيء فاطلع هو ، قال الله تعالى : ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ﴾ [الصافات :٥٥] .

﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ ؛ أي لأدبرت وانقلبت منهم فراراً . قال الزَّجَّاج : «منصوب على المصدر ؛ لأن معنى وليت منهم : فررت منهم»[٣] . ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ ؛ أي فزعاً وخوفاً ، قال المفسرون : «هو أن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد»[٤] .

وقال أبو إسحاق : «قيل في التفسير : إنهم طالت شعورهم جدّاً ، وأظفارهم ، فلذلك كان الرائي لو رآهم لهرب مرعوباً»[٥] .

---

(١) قال الطبري في تفسيره ١٥/ ٢١٥ : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال الوصيد : الباب أو فناء الباب ، حيث يغلق الباب ، وذلك أن الباب يوصد ، وإيصاده إطباقه وإغلاقه من قول الله عز وجل : ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة :٨]» . وانظر : أضواء البيان ٤/ ٤١ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢١٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٦٣ ، وزاد المسير ٥/ ١١٩ ، والدر المنثور ٤/ ٣٩٢ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٥ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢١٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٢٩٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٥٩ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٦٤ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٥ . وهذا قول بعيد ، ولو كانت حالهم هكذا لم يقولوا : ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف :١٩] ، وإنما الصحيح -والله أعلم- في أمرهم أن الله -عز وجل- حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون لهم ولغيرهم آية . قال الشوكاني في تفسيره ٣/ ٣٩٣ : ويدفعه قوله تعالى : ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ؛ فإن ذلك يدل على أنهم لم ينكروا من حالهم شيئاً ولا وجدوا من أظافرهم وشعورهم ما يدل على طول المدة . وانظر : المحرر الوجيز ٩/ ٢٦٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٧٣ .

وفي قولــه : ﴿وَلَمُلِئْتَ﴾ قراءتان : التخفيــف ، والتشــديد[١] ، والاختيار التخفيف . قال أبو الحســن : «الخفيفة أجــود في كلام العرب ، يقولون : ملأتني رعباً ، ولا يكادون يعرفون[٢] ملأتني»[٣] . ويدل على هذا كثرة اســتعمالهم الملء كقوله[٤] :

فيملأُ بيتَنَا أَقِطاً وسمنَاً

وقول الآخر[٥] :

ومِنْ مالئٍ عينيهِ مِنْ شــيءٍ غيرِهِ إذا راحَ نحوَ الجمرةِ البيضُ كالدُّمى

وقول الآخر[٦] :

لا تملأِ الدَّلوَ وعرِّقْ فيها

---

(١) قرأ ابن كثير ، ونافع : (ولُمِّئْتَ) بالتشــديد والهمز . وقــرأ ابن عامر ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكســائي : (ولملئت) بالتخفيف والهمز . انظر : الســبعة ٣٨٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٤ ، والغاية ٣٠٥ ، والتبصرة ٢٤٨ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣١٠

(٢) من هنا ساقط حتى قوله : « . .المختلفون في عدد» من نسخة (ص) .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٤ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠١ .

(٤) هذا صدر بيت لامرئ القيس . وعجزه :

وحسبُكَ من غنىً شبعٌ وريُّ

والأقطُ : شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك ثم يمصل .

والسَّــمنُ : ســلاء الزبد . انظر : ديوانه ١٧١ ، والحجة للقراء الســبعة ٥/ ١٣٤ ، والتفســير الكبير ١١/ ١٠٢ ، ولسان العرب (سمن) ٤/ ٢١٠٤ .

(٥) لم أهتد إلى قائله ، وأورد أبو علي الفارسي الشــطر الأول منه في كتابه الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٥ من دون نسبة ، وكذلك الرازي في التفسير الكبير ١١/ ١٠٢ .

(٦) هذا شطر بيت من الرجز . وبعده :

ألَا ترى حبارَ مَنْ يسقِيهَا

عرِّق : عرِّق الدلو جعل فيها ماء قليلاً . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٥ ، وتهذيب اللغة (عرق) ٣/ ٢٤٠٩ ، ولسان العرب (عرق) ٥/ ٢٩٠٥ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠٢ ، ومجالس ثعلب ٢٣٨ .

وقول الآخر[١] :

امتلأَ الحوضُ وقالَ قطْنِي

وامتلأ يدل على ملأ ؛ لأنه مطاوعه ، وقد جاء التثقيل أيضاً ، أنشدوا للمُخبَّل السعدي[٢] :

وإذا فَتَكَ النعمانُ بالنَّاسِ مُحْرِماً فمُلِئَ منْ عوفِ بنِ كعبٍ سلاسلُه

قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أشار إلى ما تقدم من قوله : ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف :١١] ، وقوله : ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف :١٣] ، وقوله : ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ ؛ أي كما فعلنا بهم هذه الأشياء بعثناهم ، قال ابن قتيبة : «أجسامهم من تلك النومة التي تشبه الموت»[٣] .

١٩. وقوله تعالى : ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ . قال أبو علي الجرجاني : «ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم»[٤] .

---

(١) هذا شطر بيت من الرجز . وبعده :

مهلاً رويداً قدْ ملأتُ بَطْنِي

قطني : بمعنى حسبي . وقد تقدم .

(٢) هذا البيت ضمن قصيدة قالها حينما بعث النعمان إلى كعب بن عوف جيشاً في الشهر الحرام وهم آمنون فقتل فيهم وسبى . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٥ ، وتهذيب اللغة (فتك) ٣/ ٢٧٣٧ ، ولسان العرب (فتك) ٦/ ٣٣٤٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٧٤ .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٥ .

(٤) ذكر نحوه بلا نسبة الرازي في التفسير الكبير ٢١/ ١٠٢ ، والطبرسي في مجمع البيان ٦/ ٧٠٥ ، وقال الشوكاني في فتح القدير ٣/ ٢٩٣ : «ليقع التساؤل بينهم والاختلاف والتنازع في مدة اللبث لما يترتب على ذلك من انكشاف الحال وظهور القدرة الباهرة ، والاقتصار على علة التساؤل لا ينفي غيرها ، وإنما أفرده لاستتباعه لسائر الآثار» .

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد كم لنا منذ دخلنا الكهف»[١] .

﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قال المفسرون : «إنهم دخلوا الكهف غدوة ، وبعثهم الله في آخر النهار ، لذلك قالوا :﴿يَوْمًا﴾ ، فلما رأوا الشمس قالوا : ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ، وكان قد بقيت من النهار بقية»[٢] .

﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يرد تمليخا رئيسهم ، رد علم ذلك إلى الله»[٣] ، ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ ، الورق : اسم للدراهم .

وقال أبو عبيدة : «الفضة كانت مضروبة دراهم أو لا»[٤] ، يدل على هذا ما روي : «أن عرفجة[٥] اتخذ أنفاً من ورق»[٦] . وفيه لغات : وَرِق ، وَوَرْق ، وَوِرْق ، مثل كَبِد ، وكَبْد ، وكِبْد ، ذكر ذلك الفرَّاء والزَّجَّاج[٧] . وكسر الواو أردؤها .

---

(١) ذكره زاد المسير ٥/ ١٢٠ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠٣ من دون نسبة .

(٢) النكت والعيون ٣/ ٢٩٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٥٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٧٥ .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ١٥٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٠ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠٣ .

(٤) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (ورق) ٤/ ٣٨٧٤ .

(٥) عرفجة بن أسعد بن كريب ، وقيل : ابن صفوان التيمي ، العطاردي ، أحد أصحاب النبي ﷺ ، أصيب أنفه يوم الكلاب بالجاهلية ، وكان من أهل البصرة ، روى عنه ابنه طرفة ، وابن ابنه عبدالرحمن . انظر : أسد الغابة ٣/ ٥١٨ ، والاستيعاب ٣/ ١٠٦٢ ، والإصابة ٢/ ٤٦٧ ، وتهذيب التهذيب ٧/ ١٧٦ .

(٦) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب : الخاتم ، باب : ما جاء في ربط الأسنان بالذهب ٤/ ٤٣٤ ، والترمذي في جامعه ، كتاب : اللباس ، باب : ما جاء في شد الأسنان بالذهب ٤/ ٢١١ ، وقال : هذا حديث حسن غريب . والنسائي في سننه ، كتاب : الزينة ، باب : من أصيب أنفه هل يتخذ أنفاً من ذهب ٨/ ١٦٣ ، والإمام أحمد في مسنده ٤/ ٣٤٢ ، وابن الأثير في جامع الأصول ، كتاب : الزينة ، فصل : في أنواع من الحلي متفرقة ٤/ ٧٣١ ، وابن حجر في الكافي الشاف ١٠٣ .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٧ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٥ .

ويقال أيضاً للـورق : الرِّقَة ، قال الأزهري : «أصلـه : وِرْقَة ، مثل : صِلَة وعِدَة»[١] . وإنما قال هذه ؛ لأنه عنى بالورق الدراهم أو الفضة .

قـال ابن عباس : «وكانـت معهم دراهم عليها صـورة الملك الذي كان في زمانهم ، فهربوا منه»[٢] . ويعني بالمدينة : دقسوس ، وهي مدينتهم ، ويقال : هي اليوم طرسوس[٣] .

وقوله تعالى : ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «يريد : أحل الذبائح»[٤] .

وهو قول سعيد بن جبير[٥] ، واختيار الفرَّاء[٦] . قالوا : لأن عامة بلدهم كانوا مجوساً ، وفيهم قوم يخفون إيمانهم .

وقـال مجاهد : «أيها أحل ؟ وكان لهم ملك غشـوم يظلم الناس في طعامهم وأسواقهم ، فقالوا لصاحبهم : لا تبتع طعاماً فيه ظلم ولا غصب»[٧] .

---

(١) تهذيب اللغة (ورق) ٤/ ٣٨٧٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٠ .

(٢) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢١٦ ، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٧٥ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠٣ .

(٣) طَرَسـوس : بفتح أوله وثانيه وسـينَيْنِ مهملتين بينهما واو سـاكنة ؛ عجمية رومية ، وهي في الإقليم الرابع ، وقالوا : سميت بـ(طرسوس بن الروم بن اليفز بن سام بن نوح) ، وقيل : إن مدينة طرسوس أحدثها سـليمان ، كان خادماً للرشيد في سـنة نيف وتسـعين ومائة ، وهي مدينة في ثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . انظر : معجم البلدان ٤/ ٢٨ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٥٢ .

(٤) زاد المسـير ٥/ ١٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٧٥ ، والـدر المنثور ٤/ ٣٩٢ ، والبحر المحيط ٦/ ١١١ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٢٣ ، وتفسير القرآن للصنعاني ٤/ ٤٠٠ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٥ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٧ .

(٧) زاد المسير ٥/ ١٢٢ ، والبحر المحيط ٦/ ١١ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠٣ .

وذكر أبو إسحاق القولين جميعاً ، وقال : «الآية من باب حذف المضاف ؛ لأن المعنى أي أهلها أزكى طعاماً ؛ أي أحل ، إما من جهة أنه ذبيحة مؤمن ، وإما من جهة أنه لا غصب فيه ، هذا معنى قوله . قال : و﴿أَيُّهَآ﴾ رفع بالابتداء ، و﴿أَزْكَىٰ﴾ خبره ، و﴿طَعَامًا﴾ منصوب على التمييز»[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد يكون ذلك في ستر وكتمان»[٢] ، يعني دخول المدينة وشراؤه الطعام ، ومعنى ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ : وليدقق النظر وليحتل حتى لا يطلع عليه .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد لا يخبرنَّ بكم ولا بمكانكم أحداً من أهل المدينة»[٣] .

وقال أبو إسحاق : «أي إن ظهر عليه فلا يوقعن إخوانه في ما يقع فيه»[٤] . وهذا خلاف ما ورد في التفسير ، فقد ذكر السدي وغيره : «أن الرسول خرج من عندهم وقد أخذ عليه المواثيق ، لئن أخذت لتدلن علينا ولا تستأثر بالشهادة»[٥] ، وهذا أليق بحالهم مما ذكره أبو إسحاق . والمعنى ما قاله ابن عباس ، أنه لا يتولى إعلام أحد ، ثم إن عرف واحد دلَّ على أصحابه ليشاركوه في الشهادة .

٢٠. قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ ؛ أي يطلعوا ويشرفوا على مكانكم أو على أنفسكم ، من قولهم : ظهرت على فلان إذا علوته ، وظهرت على السطح إذا صرت فوقه ، ومنه قوله : ﴿فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف :١٤] ؛

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٦ .

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٥/ ١٦٠ من دون نسبة .

(٣) ذكره جامع البيان من دون نسبة ١٥/ ٢٢٤ ، وكذلك الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٧٥ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠٣ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٦ .

(٥) ذكر نحوه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩أ .

أي عالين[١] غالبين ، وكذلك قوله : ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة :٣٣] ؛ أي ليعليه ، وقد مر .

وقوله تعالى : ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يقتلوكم»[٢] . والرجم بمعنى القتل قد ورد كثيراً في التنزيل كقوله : ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ [هود :٩١] ، وقوله : ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم :٤٦] ، وقوله : ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان :٢٠] ، وأصله : الرمي .

قال أبو إسحاق : «أي يقتلوكم بالرجم ، والرجم من أخبث القتل»[٣] . ولما كانوا بالرجم سمِّي القتل رجماً ، وقد يسمى السب والشتم رجماً ، وهو قول ابن جريج في هذه الآية[٤] ؛ وذلك لأنه رمي بالقبيح من القول .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ﴾ . قال ابن عباس : «يردوكم إلى دينهم»[٥] ، ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ ؛ أي إن رجعتم إلى دينهم لن تسعدوا في الدنيا ولا في الآخرة .

قال الزَّجَّاج : «(إذ) يدل على الشرط ؛ أي ولن تفلحوا إن رجعتم إلى ملتهم أبداً»[٦] .

٢١. وقوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الآية . قال العلماء بأخبار القدماء : «إن الفتية لما هربوا من ملكهم دقيانوس ودخلوا الكهف ،

---

(١) قوله : (عالين) ساقطة من نسخة (س) .

(٢) ذكره النكت والعيون من دون نسبة ٣/ ٢٩٥ ، وكذلك معالم التنزيل ٥/ ١٦٠ من دون نسبة ، وزاد المسير ٥/ ١٢٢ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠٣ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٦ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٢٤ من دون نسبة ، والنكت والعيون ٣/ ٢٩٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٢ .

(٥) ذكره زاد المسير من دون نسبة ٥/ ١٢٢ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠٣ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٦ .

أمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم ، ويدعوهم كما هم في الكهف يموتون عطشاً وجوعاً ، وليكن كهفهم الذي اختاروا قبراً لهم ، وهو يظن أنهم أيقاظ ، وقد توفى الله تعالى أرواحهم وفاة النوم ، ثم إن رجلين مؤمنين كتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص ، وجعلاه في تابوت من نحاس ، وجعلا التابوت في البنيان الذي بنوا على باب الكهف ، وقالا : لعل الله يظهر على هؤلاء قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة ، فيعلم خبرهم حين يقرأ هذا الكتاب . ثم انقرض أهل ذلك الزمان وخلفت بعدهم قرون وملوك كثيرة ، وملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له : تندوسيس ، وتحزب الناس في ملكه أحزاباً ؛ منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ، ومنهم من يكذب ، فكبر ذلك على الملك الصالح وبكى إلى الله وتضرع إليه ، وقال أي رب ، قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم أن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها . فألقى الله تعالى في نفس رجل[1] من أهل ذلك البلد الذي هو به الكهف أن يهدم البنيان الذي على فم الكهف فيبني[2] به حظيرة لغنمه ففعل ذلك ، وحجب الله الفتية عن الناس بالرعب ، فلم يتجاسر أن يدخل عليهم أحد ، وبعث الله الفتية من نومهم فجلسوا فرحين ، وأرسلوا أحدهم ليطلب لهم طعاماً ، فاطلع الناس على أمرهم كما ذكر في القصة ، وبعثوا إلى الملك الصالح تندوسيس ليعلموه الخبر ، ليعجل القدوم عليهم وينظر إلى آية من آيات الله جعلها الله في ملكه آية للعالمين ، فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة ، فلما بلغه الخبر حمد الله تعالى ، وركب معه أهل مدينته حتى أتوا مدينة أصحاب الكهف ، ثم صعدوا

(١) قوله : (رجل) ، ساقط من نسخة (س) .

(٢) في (س) : (فيجنى) ، وهو تصحيف .

نحو الكهف حتى أتوه . فذلك قوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ؛ أي أطلعنا وأظهرنا عليهم» ، كذا قال المفسرون[١] . وذكرنا هذا عند قوله : ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ [المائدة :١٠٧] .

وقوله تعالى : ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الملك ورعيته»[٢] ، أن البعث والثواب والعقاب حق ، والقيامة لا شك فيها .

وقوله تعالى : ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ . اختلفوا في هذا التنازع ، فالأشبه ما قال عكرمة : «أن أهل ذلك الزمان تنازعوا بالبعث»[٣] . كما ذكرنا في القصة .

والمراد بقوله : ﴿أَمْرَهُمْ﴾ ما تنازعوا فيه من أمر البعث . و﴿إِذْ﴾ منصوب بقوله : ﴿أَعْثَرْنَا﴾ ، والمعنى : أطلعنا عليهم إذ وقعت المنازعة في أمرهم[٤] . قال أبو إسحاق : «ويجوز أن يكون منصوباً بقوله : ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ ؛ أي ليعلموا في وقت منازعتهم»[٥] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله : ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ «وذلك أن الرجل إذ خرج ليشتري لهم الطعام لما وقف يتنازع ، نظروا إلى درهمه ، فإذا عليه صورة دقيانوس» ، وذكر القصة[٦] . فعلى هذا التنازع هو تنازع القوم مع هذا الواحد الذي كان يطلب لهم الطعام وتكذيبهم إياه في ما كان يخبر به .

---

(١) انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٢٥ ، والكشاف ٢/ ٣٨٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٧٨ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٨ .

(٢) ذكره النكت والعيون من دون نسبة ٣/ ٢٩٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦١ من دون نسبة ، والجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٢٣ .

(٣) تفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٢١ ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٥٦ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٣ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٦ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ٢٩٦ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٦ .

(٦) النكت والعيون ٣/ ٢٩٥ ، والكشاف ٢/ ٣٨٤ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٧ .

وقال قوم : «يعني تنازعوا في قدر مكثهم ولبثهم»[١] . وقيل : «تنازعوا في عددهم»[٢] ، وهذا لا يتجه ؛ لأن قوله : ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ إما أن يتعلق بقوله : ﴿أَعْثَرْنَا﴾ ، أو بقوله : ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ على ما بيَّنا . وإذا جعلنا التنازع في قدر المكث أو في العدد لم يصح المعنى ، إلا أن يجعل تمام الكلام عند قوله : ﴿لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ ، ثم يقول : ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ ؛ أي اذكر يا محمد ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ مدة مكثهم ، أو في عددهم فلا يتعلق بما قبله . ومنهم من قال : «هذا التنازع يعود إلى التنازع في البنيان ، والمسجد» ، يروى هذا عن ابن عباس[٣] . يدل على هذا سياق الآية ، وهو قوله : ﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ ، يعني استروهم من الناس ، قال ذلك المفسرون[٤] .

وقوله تعالى : ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ يدل على أنه وقع تنازع في عدتهم ، فمعنى ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ ؛ أي بعددهم كما قال : ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف :٢٢] ، ويحتمل أن هذا من قول الله ابتداء ، ويحتمل أنه من قول بعض الناس الذين تكلموا في عددهم[٥] .

وقوله تعالى : ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد المؤمنين الذين لم يشكوا في البعث» . قال المفسرون : «هم تندوسيس الملك وأصحابه»[٦] .

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ١٦١ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠٤ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٦١ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٣ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠٤ .

(٣) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/ ٢٩٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦١ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٣ ، والبحر المحيط ٦/ ١١٣ .

(٤) الكشاف ٢/ ٣٨٤ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٧ ، أي سددوا عليهم باب كهفهم ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠٥ .

(٥) البحر المحيط ٦/ ١١٣ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠٥ .

(٦) معالم التنزيل ٥/ ١٦١ ، والكشاف ٢/ ٣٨٤ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٤ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٣٦ .

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ قال أبو إسحاق : «هذا يدل على أنه لما ظهر أمرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور ؛ لأن المساجد للمؤمنين»[١] . ومعنى : ﴿عَلَيْهِم﴾ هاهنا وفي قوله : ﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا﴾ أنهم يجعلون وراء ذلك ، كما يقال : بنى عليه جداراً ، إذا حوطه وجعله وراء الجدار ، وقد ذكر في قصتهم : «أن الملك جعل على باب الكهف مسجداً يصلى فيه ، وجعل عنده عيداً عظيماً ، وأمر أن يؤتى كل سنة»[٢] . وقد نسقت شرح هذه الآية على ما أمكن ، والآية مشكلة الظاهر والنظم ، والله أعلم بما أراد .

٢٢. قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الآية . قال المفسرون : «إن نصارى نجران[٣] كانوا عند النبي ﷺ ، فجرى ذكر أصحاب الكهف ، فقالت اليعقوبية[٤] منهم : كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٧ .

(٢) ذكر نحوه البغوي في معالم التنزيل بلا نسبة ٥/ ١٦١ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٩٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٣) نَجْرَان : بفتح النون وإسكان الجيم : بين مكة واليمن ، قيل : أول من عمرها نجران بن زيدان بن سبأ بن قحطان ، وكان أهلها يدينون بالنصرانية ، حتى فتحت سنة عشر صلحاً ، وهي الآن مدينة من مدن المملكة العربية السعودية . انظر : معجم البلدان ٥/ ٢٦٦ ، ومعجم ما استعجم ١٢٩٨ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٧٦ .

(٤) اليعقوبية : فرقة من النصارى ، منسوبون إلى يعقوب البرذعاني وكان راهباً بالقسطنطينية ، قالوا : إن المسيح هو الله نفسه ـ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً ـ وإنه تعالى مات ، وإن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر ، ثم قام ورجع كما كان ، وإنه عاد محدثاً وأن المحدث عاد قديماً . انظر : الملل والنحل ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، والفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٤٩ .

وقالت النسطورية[١] : كانوا خمسة سادسهم كلبهم . وقال المسلمون : كانوا سبعة وثامنهم كلبهم» ، هذا حكاية ما ذكره المفسرون[٢] .

ونظم الآية يوجب أن يكون هذا التنازع بعد نزول الآية ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿سَيَقُولُونَ﴾ ، وهذه السين للتأخير ، فالآية تكون نازلة قبل هذا التنازع ، أخبر الله فيها أنه سيقع نزاع في عددهم ، ثم وقع ذلك على ما في الآية ، يدل على هذا أن السورة مكية ، ووفد نجران إنما أتوا النبي ﷺ بعد الهجرة .

واختلف النحويون في نظم هذه الآية وسقوط الواو من قولهم : رابعهم وسادسهم ، ودخولها في ثامنهم ، بعد اجتماعهم على أن قوله : ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾ مرفوع بالابتداء محذوف على تقدير : هم ثلاثة[٣] .

فقال صاحب النظم : «﴿رَّابِعُهُمْ﴾ ابتداء ، و﴿كَلْبُهُمْ﴾ خبره ، وهو جملة في موضع الحال لقوله : ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾[٤] . وتأويله : سيقولون ثلاثة بهذه الحال فيكون قوله : ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ توقيتاً للآية وحالاً لهم ، وكذلك قوله : ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ﴾ ، قال أبو الفتح الموصلي : «لا يجوز أن تكون الجملة حالاً لثلاثة ؛ لأنك

---

(١) النسطورية : فرقة من فرق النصارى ، منسوبون إلى نسطور ، وكان بالقسطنطينية ، قالوا : إن مريم لم تلد الإله ، وإنما ولدت الإنسان ، وإن الله تعالى لم يلد الإنسان وإنما ولد الإله . تعالى الله عما يقولون . انظر : الملل والنحل ٢٢٥ ، والفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٤٩ .

(٢) الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٢٩٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦١ ، والكشاف ٢/ ٣٨٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٨٢ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧١ .

(٤) ذكر نحوه بلا نسبة البحر المحيط ٦/ ١١٤ ، والدر المصون ٧/ ٤٦٦ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٤٠ . وقال العكبري في إملاء ما مَنَّ به الرحمن ٣٩٦ : «رابعهم مبتدأ وكلبهم خبره ، ولا يعمل اسم الفاعل هنا ؛ لأنه ماض والجملة صفة لثلاثة وليس حالاً ، إذ لا عامل لها ؛ لأن التقدير : هم ثلاثة ، وهم لا يعمل ولا يصح أن يقدر هؤلاء لأنها إشارة إلى حاضر ولم يشيروا إلى الحاضر» .

لو فعلت ذلك لم يجد الحال ما ينصبها ، ألا ترى أن التقدير : سيقولون : هم ثلاثة ، وليس في قولك : هم ثلاثة ما يجوز أن ينصب الحال»[١] .

وقال آخرون : «﴿رَّابِعُهُمْ﴾ وصف لثلاثة ، على أن يكون ﴿كَلْبُهُمْ﴾ رفع برابع ، كما تقول : عندي غُلامٌ ضاربه زيد ، فيرفع ضاربه ؛ لأنه وصف لغلام ، وترفع زيد بفعله ، وهو الضرب»[٢] .

قال أبو الفتح : «وهذا الوجه أيضاً غير جائز ، من قبل أن رابعهم في هذا الموضع ، وإن كان اسم فاعل ، فإنه أراد به الماضي ، وإذا كان اسم الفاعل ماضياً في المعنى لم يجز أن يعمل عمل الأفعال ، لا رفعاً ولا نصباً ؛ ألا ترى أنك لا تقول : هذا رجل غلام أخوه ، فترفع الأخ بفعل ، وتجعل الغلام فعلاً له ؛ لأن اسم الفاعل إذا أريد به الماضي جرى مجرى غلام ورجل وفرس وما لا معنى فعل فيه ، فقد بطل إذن أن يرتفع ﴿كَلْبُهُمْ﴾ بما في ﴿رَّابِعُهُمْ﴾ من معنى الفعل»[٣] . وقد ذكرنا هذا الفصل عند قوله : ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف :١٨] ، من كلام أبي علي .

وقال بعضهم : «﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ مبتدأ وخبر ، والجملة وصف لثلاثة ، كما تقول : هؤلاء ثلاثة غُلامهم رابعهم»[٤] .

قال أبو الفتح : «وهذا الوجه غير سائغ ولا مختار ، وإن كان في غير هذا الموضع جائزاً . والذي منع من إجازته هاهنا وضعفها أن الجملة التي في آخر الكلام [فيها واو العطف ، وهو قوله : ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ، فكما ظهرت الواو في آخر الكلام][٥] فكذلك هي -والله أعلم- مرادة في أوله ؛ لتتجنَّس الجمل

(١) سر صناعة الإعراب ٢/ ٦٤٣ .
(٢) سر صناعة الإعراب ٢/ ٦٤٣ .
(٣) سر صناعة الإعراب ٢/ ٦٤٣ .
(٤) سر صناعة الإعراب ٢/ ٦٤٣ .
(٥) ما بين المعقوفين مكرر في نسخة (س) .

في أحوالها والمراد بها ، فكأنه قيل : سيقولون : ثلاثة ورابعهم كلبهم ، ويقولون : خمسة وسادسهم كلبهم رجماً بالغيب ، ويقولون : سبعة وثامنهم كلبهم ، إلا أن الواو حذفت من الجملتين المتقدمتين ؛ لأن الذي فيهما من الضمير يعقدهما بما قبلهما لا عقد الحال ولا عقد الوصف لما ذكرنا ، ولكن عقد الإتباع ، لاسيما وقد ظهرت الواو في الجملة الثالثة ، فدلَّ ذلك على أنها مرادة في الجملتين المتقدمتين» . انتهى كلامه[١] .

ونحو هذا قال أبو علي في هذه الآية فقال : «قوله : ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ و﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ، جملتان استغني عن حرف العطف فيهما بما تضمنتا من ذكر الجملة الأولى ، وهي قوله : ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾ ، والتقدير : هم ثلاثة»[٢] . وهذا الذي ذكره أبو علي وأبو الفتح في وجه نظم هذه الآية معنى قول أبي إسحاق : «دخول الواو في ﴿وَثَامِنُهُمْ﴾ وإخراجها من الأول واحد»[٣] . وعلى ما قالوا قوله : ﴿رَّابِعُهُمْ﴾ عطف على خبر الابتداء الذي هو ثلاثة ، كما تقول : هو حلو وحامض . و﴿كَلْبُهُمْ﴾ مرفوع على أنه نعت لقوله : ﴿رَّابِعُهُمْ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ . الرجم : القول بالظن والحَدْس[٤] .

---

(١) سر صناعة الإعراب ٢/ ٦٤٤ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ١/ ٢٨ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٢٧ .

(٤) الحَدَس : التوهم في معاني الكلام والأمور . انظر : تهذيب اللغة (حدس) ١/ ٧٦٤ ، ومقاييس اللغة (حدس) ٢/ ٣٣ ، والقاموس المحيط (الحدس) ٥٣٧ ، والصحاح (حدس) ٣/ ٩١٥ ، ولسان العرب (حدس) ٢/ ٨٠٥ .

ومنه قول زهير[١] :

وما هُوَ عنْها بالحديثِ المرجَّمِ

وذلك أنه رمى الظن إلى ذلك الشيء . قال أبو إسحاق : «أي تقولون ذلك رجماً ؛ أي ظنّاً وتخرُّصاً»[٢] . ومعنى قول المفسرين : ظناً من غير يقين .

وقوله تعالى : ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ الباء هاهنا ظرف للرجم ، والتأويل : يرجمون القول فيهم بالغيبة عنهم ، وتلخيصه : بالمكان الغائب عنهم ، كما تقول : هو يحسن القول فيك بالغيب ، ويظهر الغيب ، والمعنى : أنهم يقولون هذا القول من غير مشاهدة .

وقوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «حين وقعت الواو وانقطعت العدة»[٣] ؛ يريد أنهم سبعة وثامنهم كلبهم ، وإلى هذا المعنى أشار أبو إسحاق فقال : «وقد يجوز أن يكون الواو يدخل ليدل على انقطاع القصة وأن الشيء قد تمَّ»[٤] . إلى هاهنا إخبار عما يقوله المختلفون في عدد[٥] أصحاب الكهف ، ثم قال : ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ؛ أي ما يعلم عددهم إلا قليل من الناس . قال ابن عباس : «أنا من ذلك القليل»[٦] . فقال في

---

(١) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى . وصدره :

وما الحربُ إلَّا ما علمتُمْ وذقتُم

انظر : ديوانه ٨١ ، وتهذيب اللغة (رجم) ٢/ ١٣٧٥ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ١٤٠ ، وخزانة الأدب ٣/ ١٠ ، ولسان العرب (رجم) ٣/ ١٦٠٢ ، وهمع الهوامع ٢/ ٩٢ ، والدر المصون ٧/ ٤٦٧ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٧ .

(٣) الكشاف ٢/ ٣٨٥ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٤٢ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٧ .

(٥) من قوله : «يعرفون ملأتني . . . .» . إلى هنا ساقط من نسخة (ص) .

(٦) جامع البيان ١٥/ ٢٢٦ ، وتفسير القرآن للصنعاني ١/ ٣٣٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٢ ، والكشاف ٢/ ٣٨٥ ، والدر المنثور ٤/ ٣٩٣ .

رواية الضحاك : «أنا من أولئك القليل ، ثم ذكرهم بأسمائهم ، فذكر سبعة»[١] . وقال في رواية عكرمة : «كانوا سبعة»[٢] . وقال في رواية سعيد بن جبير : «كانوا سبعة أو ثمانية»[٣] . وقال في رواية عطاء الخراساني : «﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ، يعني أهل الكتاب»[٤] .

وروى السدي عن ابن عباس قال : «أرجو أن أكون من القليل ، أظن القوم كانوا ثلاثة ، يقول واحد منهم : كم لبثتم ؟ فقال الثاني : لبثنا يوماً أو بعض يوم ، قال الثالث : ربكم أعلم بما لبثتم»[٥] .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ . قال السدي : «يقول بما أوحى إليك من القرآن»[٦] .

وقال سفيان : «إلا بما قصصنا عليك في القرآن»[٧] .

وروي عن ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك في قوله : ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ «حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم»[٨] . وقال ابن زيد : «المراء الظاهر : أن

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ١٦٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٨٤ ، والدر المنثور ٤/ ٣٩٣ .

(٢) تفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٤٥٦ ، وجامع البيان ١٥/ ٢٢٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٢٩٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٧٥ .

(٣) ذكره الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٧٥ ونسبه إلى ابن جريج .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٢٦ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ، والكشاف ٢/ ٣٨٥ .

(٥) بحر العلوم ٢/ ٣٩٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٧٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٢ .

(٦) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز بلا نسبة ٩/ ٢٧٥ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٨٤ .

(٧) ذكرت كتب التفسير نحوه بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٢٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٢٣٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٧ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٠٧ .

(٨) جامع البيان ١٥/ ٢٢٧ ، وتفسير القرآن للصنعاني ١/ ٣٣٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٢٩٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٧ ، والدر المنثور ٤/ ٣٩٣ .

تقول لهم : ليس كما تقولون ، ليس كما تعلمون عدتهم»[١] ؛ يعني إنما يعلمهم القليل . ومعنى المراء في اللغة : الجدال ، يقال : مَارَى يُماري ، مُمارَاة ومِراء ؛ أي جادل[٢] .

قال أبو إسحاق : «أي لا تأت في أمرهم بغير ما أوحي إليك ؛ أي أفت في قصتهم بالظاهر الذي أنزل عليك»[٣] . فعلى ما قالوا المراء الظاهر هو : أن يجادلهم بما أنزل إليه من أنه لا يعلم عددهم إلا القليل ، كما قال ابن زيد .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾ ؛ أي في أصحاب الكهف ﴿مِّنْهُمْ﴾ ؛ أي من اليهود وأهل الكتاب . قال الفرَّاء : «هم فريقان أتوه من أهل نجران : يعقوبي ونسطوري ، فسألهم النبي ﷺ عن عددهم فَنُهي»[٤] . قال أصحابنا : «وهذا دليل على منع المسلمين من استفتاء اليهود والنصارى»[٥] .

٢٣. قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ . ذكرنا قبل هذا سبب نزول هذه الآية[٦] . قال المفسرون : «هذا تأديب من الله تعالى لنبيه عليه السلام ، وأمر له بالاستثناء في ما يعزم بمشيئة الله ، إذا

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٢٧ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٧ .

(٢) المِرَاء : المماراة والجدل ، وأصله في اللغة : الجدال وأن يستخرج الرجل من مناظرة كلاماً ومعاني الخصومة وغيرها . انظر : تهذيب اللغة (مرى) ٤/ ٣٣٨٣ ، ومقاييس اللغة (مرى) ٥/ ٣١٤ ، ومختار الصحاح (مرا) ٢٦٠ ، والمصباح المنير (المرئ) ٢١٧ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٧ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٨ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٨٤ .

(٦) عند قوله سبحانه في سورة الإسراء [٨٥] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ . وعند قوله سبحانه في سورة الكهف [٩] ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ .

قلت لشيء : إني فاعله غداً ، فقل إن شاء الله»[١] . قال الفرَّاء في قوله : «﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ : إلا أن يريد الله»[٢] .

قال أبو إسحاق : «موضع ﴿أَن﴾ نصب ، المعنى : لا تقولن إني أفعل إلا بمشيئة الله»[٣] . جعل أبو إسحاق ﴿أَن﴾ مع الفعل مصدراً وأضمر الباء .

وقال الأخفش : «أي إلا أن يقول : إن شاء الله . فأجزأ من ذلك هذا ، وكذلك إذا طال الكلام أجزأ فيه ، شبيه بالإيماء ؛ لأن بعضه يدل على بعض»[٤] . ونحو هذا روي عن المبرِّد عن الكسائي والفرَّاء قالا : «المعنى إني فاعل ذلك غداً إلا أن يقول : إن شاء الله»[٥] ، فأضمر القول ، ومثله كثير في القرآن ، وهذا على ما ذكروا ، ولما حذف يقول نقل شاء إلى لفظ الاستقبال .

٢٤. وقوله تعالى : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ . أكثر الناس على أن معناه : إذا نسيت الاستثناء بمشيئة الله تعالى فاذكره ، وقله إذا ذكرت .

قال ابن عباس رواية عطاء : «يريد الاستثناء ولو بعد شهر»[٦] . يعني أن من قال : أفعل غداً كذا وكذا ، ونسي أن يقول : إن شاء الله ، فقد واقع ما نهى الله عنه ، فإذا ذكر أنه كان قد نسي الاستثناء فقاله وضع عنه الحرج .

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٢٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٧٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٨ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٨ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٨ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ١/ ٦١٨ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٨ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ٣٩٧ .

(٦) زاد المسير ٥/ ١٢٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٨٦ ، والتفسير الكبير ١١/ ١١٠ .

وقال سعيد بن جبير : «إذا قلت لشيء إنك فاعله غداً ، فنسيت أن تقول : إن شاء الله ، ثم تذكَّرت ، فقل : إن شاء الله ، وإن كان بعد يوم أو شهر أو سنة»[١] .

وقال أبو العالية : «إذا ذكرت فاستثن»[٢] .

وقال عمرو بن دينار : «له الاستثناء متى ما ذكر»[٣] . هذا كله في ما يعد من نفسه أن يفعله من غير يمين ، فإن حلف ثم استثنى بمشيئة الله متصلاً بيمينه فلا حنث عليه ، كذلك روى أبو هريرة عن النبي ﷺ : «مَنْ حلف فقال : إن شاء الله ، لم يحنث»[٤] .

وروى ابن عمر عن النبي ﷺ قال : «مَنْ حلف على يمين ، فقال : إن شاء الله ، فهو بالخيار»[٥] .

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٨٦ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٨ ، والدر المنثور ٤/ ٣٩٤ ، والتفسير الكبير ١١/ ١١٠ .

(٢) انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٢٩ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٧٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٩ ، والدر المنثور ٤/ ٣٩٤ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٣/ ٤٣١ ، وذكرته كتب الفقه بلا نسبة . انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٢٣٥ ، وأحكام القرآن للجصاص ٥/ ٤١ ، والجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٧٣ ، والمغني لابن قدامة ١٣/ ٤٨٥ .

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب : الكفارات ، باب : الاستثناء في اليمين ١/ ٦٨٠ ، والنسائي في سننه ، كتاب : الأيمان والنذر ، باب : الاستثناء ٧/ ٢٣ ، والترمذي في جامعه ، كتاب : النذور والأيمان ، باب : ما جاء في الاستثناء في اليمين ٤/ ٩١ وقال : حديث حسن . والإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٧٥ ، والدارمي في سننه ، كتاب : النذور والأيمان باب : في الاستثناء في اليمين ٢/ ١٠٦ ، وابن الأثير في جامع الأصول ، كتاب : الأيمان ، باب : في الاستثناء في اليمين ١١/ ٦٦٤ .

(٥) أخرج نحوه الترمذي في جامعه ، كتاب : النذور والأيمان ، باب : الاستثناء في اليمين ٤/ ٩١ ، والنسائي في سننه ، كتاب : الكفارات ، باب : الاستثناء ٧/ ٢٣ ، وابن ماجة في سننه ، كتاب : الكفارات ، باب : الاستثناء في اليمين ١/ ٦٨٠ ، والإمام أحمد في مسنده ٢/ ٦ ، ومالك في الموطأ ، كتاب : الأيمان ، باب : ما لا تجب فيه الكفارة من اليمين ٢/ ٤٧٧ ، والدارمي في سننه ، كتاب : النذور والأيمان ، باب : في الاستثناء في اليمين ٢/ ١٠٦ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٩٥ .

ولا خلاف في هذا بين النـــاس ، وإنما الخلاف فيه إذا انقطع الاســـتثناء عن اليمين ، روى قتادة عن الحســـن في الرجل يحلف فيستثني في يمينه قال : «له ثنياه إذا اتصل كلامه ، ولم يكن بين ذلك كلام»[١] .

وقال طاووس : (له ثنياه ما كان في مجلسه)[٢] . وعن حماد[٣] قال : (إن استثنى في نفسه فليس بشيء حتى يسمع نفسه)[٤] .

وقال الحســـن : «إذا حرَّك لسانه أجزأ عنه»[٥] . ومذهب الشافعي رحمه الله : أن الحالف إذا نسي الاســـتثناء موصولاً بكلامه ، فـــات وقته في الطلاق والعتاق وســـائر الأيمان[٦] . حتى قال بعض أصحابنا : «إنما ينفعه الاســـتثناء إذا أنشأ أول يمينه مع نية الاســـتثناء ثم وصله باليمين ، فإن أنشـــأ اليمين ثم بدا له أن يستثني فوصل الاستثناء لم ينفعه»[٧] .

والصحيح : أنه إذا اتصل نفع ، ووقع موقعه[٨] .

---

(١) المحرر الوجيز ٩/ ٢٧٨ ، وزاد المســـير ٥/ ١٢٩ ، وتفســـير القرآن العظيم ٣/ ٨٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٨٦ ، والمغني لابن قدامة ١٣/ ٢٧٣ .

(٢) الكشـــاف ٢/ ٣٨٦ ، والمحـــرر الوجيـــز ٩/ ٢٧٨ ، والتفســـير الكبـــير ١١/ ١١٠ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٤٩ ، والدر المنثور ٤/ ٣٩٤ .

(٣) حماد بن زيد بن درهم الأزدي ، تقدمت ترجمته .

(٤) ذكرته كتب الفقه بلا نســـبة . انظر : أحـــكام القرآن للجصـــاص ٥/ ٤١ ، والمحلى ٨/ ٤٠٦ ، وبلغة السالك ١/ ٧٠٠ ، والمغني لابن قدامة ٣/ ٤٨٥ ، كتاب : الأيمان والنذور لأبي فارس ٣٧ .

(٥) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٨٣ بلا نسبة ، وابن قدامة في المغني ١٣/ ٤٨٥ .

(٦) انظر : الأم للشافعي ٧/ ٦٥ ، وروضة الطالبين ١١/ ٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٧٤ .

(٧) انظر : الأم للشافعي ٧/ ٦٥ ، وروضة الطالبين ١١/ ٤ ، وأحكام القرآن للجصاص ٥/ ٤١ ، والجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٨٣ ، والمغني لابن قدامة ١٣/ ٤٨٤ .

(٨) وهذا ما عليه جمهور العلماء . قال الإمام الطبري ـرحمه اللهـ في تفسيره ١٥/ ٢٢٩ : «فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال إلا أن يكون اســـتثناؤه موصولاً بيمينه» . وقال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٧٩ : «والتحقيق الذي لا شـــك فيه أن الاستثناء لا يصح إلا مقترناً بالمستثنى منه ، وأن الاستثناء المتأخر لا =

وروي عن ابن عباس أنه قال : «يستثني الرجل في يمينه متى ما ذكر ، وإن تطاول الزمان ، وقرأ هذه الآية»[١] . وهذا لا يصح ؛ لأن سبيل الاستثناء ألَّا يكون منفرداً بنفسه ، هو مضمر كلام غيره ، والآية وردت في غير اليمين ، وليس في الآية : ولا تحلفن على شيء إني فاعل ذلك غداً ، يدل على هذا سبب نزول الآية ، والنبي ﷺ لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف قال : غداً أخبركم ، ولم يحلف على ذلك ، ويؤكد هذا ما روي أن النبي ﷺ قال : «مَنْ حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منه ، فليأتِ الذي هو خير ويُكَفِّر عن يمينه»[٢] .

ولو كان يخرج بقوله : إن شاء الله عن الحنث ، لقال : وليقل : إن شاء الله ، وأيضاً فإن الإنسان إذا حلف من غير نية [فقد تمت يمينه واستقرت ، فلم يجز أن ينقض حكمها شيء يحدثه بعد ذلك ، بخلاف ما يقارنه الاستثناء][٣] ؛ لأنه لا يستقر ، على أن كثيراً من المفسرين حملوا قوله : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ على غير الاستثناء ؛ لأن قوله : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ ابتداء كلام آخر وقصة أخرى ، والاستثناء الذي ذكر وقع في موضعه متصلاً .

---

= أثر له ولا تحل به اليمين ، ولو كان الاستثناء المتأخر يصح لما علم في الدنيا أنه تقرر عقد ولا يمين ولا غير ذلك ، لاحتمال طروِّ الاستثناء بعد ذلك . وانظر : روضة الطالبين ١١/ ٤ ، وبداية المجتهد ٨/ ٤٠٦ ، وأحكام القرآن للكيا الهراس ٤/ ٢٠٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٧٣ ، والمغني لابن قدامة ١٣/ ٤٨٤ .

(١) ذكرت نحوه كتب التفسير . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٢٩ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٩أ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٧٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٢ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٩ ، وابن كثير ٣/ ٨٩ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : الأيمان والنذور ، باب : قول الله تعالى : ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة :٢٢٥] ٨/ ٢٢٩ ، ومسلم ، كتاب : الأيمان ، باب : ندب من حلف يميناً ، فرأى غيرها خيراً منها ٣/ ١٢٦٨ ، والنسائي كتاب : الأيمان والنذور ، باب : الكفارة قبل الحنث ٧/ ٩ ، وابن ماجة ، كتاب : الكفارات ، باب : من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها ١/ ٦٨١ ، ومالك في الموطأ ، كتاب : الأيمان ، باب : ما جاء فيه الكفارة من الأيمان ٢/ ٤٧٨ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، والمثبت في بقية النسخ .

قال عكرمة : «﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال : إذا غضبت»[١] .

ومعناه أنه إنما يغضب لما يطرأ عليه من نسيان ذكر الله ، فأمر بذكر الله ليزول غضبه . وروي عن السدي والضحاك أنهما قالا : «هذا في من نسي صلاة فعليه أن يصليها إذا ذكرها»[٢] .

وقال المبرِّد : «إن ابن عباس أعلم من أن يسقط حكم الحنث بالاستثناء الذي لا يصله الحالف بيمينه ، ولعله قال هذا في الاستثناء من غير يمين كما قال المفسرون ، قال : إذا نسي أن يقول : إن شاء الله ، ثم ذكر فليقله . فظن بعض الناس أنه يقول ذلك في اليمين ، فروي عنه ذلك في اليمين»[٣] .

قوله تعالى : ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ﴾ إلى آخرها ، قال أبو إسحاق : «أي قل : عسى أن يعطيني ربي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد ، وأدل من قصة أصحاب الكهف»[٤] .

قال المفسرون : «إن الله –عز وجل– فعل به ذلك حيث آتاه من علم غيوب المرسلين ، وخبرهم ما كان أوضح في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف»[٥] .

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٢٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٧٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٩ ، والدر المنثور ٤/ ٣٩٥ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٦٣ ، والكشاف ٢/ ٣٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٨٦ .

(٣) انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٢٩ . وقال الشنقيطي في أضواء البيان ٧٩/ ٤ : والتحقيق الذي لا شك فيه أن الاستثناء لا يصح إلا مقترناً بالمستثنى منه ، وأن الاستثناء المتأخر لا أثر له ولا تحل به اليمين ، ولو كان الاستثناء المتأخر يصح لما علم في الدنيا أنه تقرر عقد ولا يمين ولا غير ذلك لاحتمال طرو الاستثناء بعد ذلك ، وهذا في غاية البطلان كما ترى .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٨ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ١٦٣ ، والكشاف ٢/ ٣٨٧ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٩ ، والتفسير الكبير ١١/ ١١١ .

وقال بعضهم : «هذا نبأ أمر أن يقوله مع الاستثناء إذا ذكر ، وهو كفارة نسيان الاستثناء أن يقول : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ﴾ إلى آخرها»[١] . والمعنى : عسى أن يهدين حتى لا أنسى الاستثناء بمشيئته ، وهو أقرب رشداً من أن ينسى ذلك .

وقال بعضهم : «هذا في ما ينساه النبي ﷺ أمر أن يذكر الله تعالى فسأله ، أو يذكره ما نسي ، أو يهديه لما هو خير له من ذكر ما نسيه»[٢] .

٢٥. قوله تعالى : ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ﴾ . اختلفوا في معنى هذه الآية على قولين ؛ أحدهما : أن هذا إخبار عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك[٣] . وهذا قول ابن عباس في رواية الضحاك قال : «إن الرجل ليفسر الآية يرى أنها كذلك فيهوي أبعد مما بين السماء والأرض ثم تلا : ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ﴾ الآية ، ثم قال : كم لبث القوم ؟ قالوا : ثلاثمائة سنة وتسع سنين ، قال : فلو كانوا لبثوا ذلك لم يقل الله : ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ ، ولكنه حكى مقالة القوم ، فقال : سيقولون : ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ﴾ الآية[٤] .

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٣٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٨١ ، والدر المنثور ٤/ ٣٩٥ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٦٤ ، والكشاف ٢/ ٣٨٧ .

(٣) تفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٤٥٨ ، وجامع البيان ١٥/ ٢٣٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٠ .

(٤) زاد المسير ٥/ ١٣٠ ، والدر المنثور ٤/ ٣٩٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

وقال قتادة : «هذا قول أهل الكتاب ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ قال : ويدل على صحة هذا قراءة ابن مسعود : قالوا لبثوا في كهفهم»[١] . ونحو هذا قال مطر الورَّاق[٢][٣] .

القول الثاني : أن هذه الآية إخبار عن الله تعالى ، أخبر عن قدر لبثهم في الكهف من يوم دخلوا إلى أن بعثهم الله وأطلع عليهم الخلق[٤] ، وهذا قول مجاهد قال في هذه الآية : «هو عدد ما لبثوا»[٥] ، ونحوه قال عبدالله بن عبيد بن عمير[٦] ، والضحاك[٧] .

واختاره الزَّجَّاج ، وقال : «هو الأجود عندي»[٨] ، وهو اختيار ابن قتيبة[٩] . وعلى هذا القول معنى قوله : ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ ما قاله القتبي : «وهو أنهم

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٣٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٨٢ ، والدر المنثور ٤/ ٣٩٥ .

(٢) مطر بن طهمان الوراق ، أبو رجاء الخراساني السلمي ، مولى علي ، من أهل البصرة ، روى عن أنس ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، وروى عنه إبراهيم بن طهمان ، ومعمر بن هشام ، وشعبة ، وغيرهم كثير ، وكان من أكبر أصحاب قتادة ، وثَّقه بعض العلماء ، توفي سنة ١٢٥هـ ، وقيل غير ذلك . انظر : الجرح والتعديل ٨/ ٢٨٧ ، والكاشف ٣/ ١٤٩ ، وميزان الاعتدال ٤/ ١٢٦ ، وتهذيب التهذيب ١٠/ ١٥٢ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٣١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٨٢ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٣١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٨٦ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٣١ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٩أ .

(٦) عبدالله بن عبيد بن عمير الليثي ، المكي ، أبو هاشم ، إمام تابعي مشهور ، عرف بالصلاح والتقوى ، وثَّقه العلماء ، وروى له الأربعة ، ومسلم في صحيحه ، روى عن أبيه وغيره ، وروى عنه الأوزاعي وطائفة من التابعين ، توفي ـرحمه اللهـ سنة ١١٣هـ . انظر : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٤٩ ، والجرح والتعديل ٢/ ١٠١ ، والحلية ٣/ ٣٥٤ ، وتهذيب التهذيب ٥/ ٣٠٨ ، وشذرات الذهب ١/ ١٩٤ .

(٧) جامع البيان ١٥/ ٢٣١ ، وزاد المسير ٥/ ١٣٠ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٨ .

(٩) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٦ .

اختلفوا في لبثهم فقال الله : ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ﴾ الآية ، ثم قال : ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ ؛ أي وأنا أعلم بما لبثوا من المختلفين»[١] . وهذا معنى قول الزَّجَّاج ، والكلبي : «قالت نصارى نجران : أما الثلاثمائة فقد عرفناها ، وأما التسع فلا علم لنا بها ، فنزلت : ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾»[٢] .

وقال كثير من أهل التفسير : «معنى قوله : ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ أن أهل الكتاب قالوا على رسول الله ﷺ : أن الفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاثمائة وتسع سنين ، فرد الله -عز وجل- عليهم ، وقال : ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ بعد أن قبض أرواحهم المرة الثانية إلى يومنا هذا لا يعلم ذلك غير الله تعالى»[٣] .

هذا الذي ذكرنا تفسير الآية[٤] ، فأما إعرابها فقال ابن عباس في رواية عطاء : «نزل قوله : ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾ فلم يدرِ رسول الله ﷺ أسنين ، أم أشهر ، أم أيام ، أم ساعات ، حتى نزل جبريل فقال : ﴿سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾»[٥] ، ونحو هذا قال الضحاك ، ومقاتل[٦] . وعلى هذا أَجاز ابن مجاهد الوقف على ثلاثمائة ،

---

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٧ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٦٥ ، وزاد المسير ٥/ ٩٢ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٩ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٣١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٣٠ .

(٤) قال الطبري -رحمه الله- في تفسيره ١٥/ ٢٣١ : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله عز ذكره ، ولبث أصحاب الكهف في كهفهم رقوداً إلى أن بعثهم الله ليتساءلوا بينهم وإلى أن أعثر عليهم من أعثر ثلاثمائة سنين ؛ وذلك لأن الله بذلك أخبر في كتابه . وقال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره ٣/ ٨٩ : والظاهر من الآية إنما هو إخبار من الله لا حكاية عنهم ، ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة ، ثم هي شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور فلا يحتج بها ، والله أعلم . وانظر : المحرر الوجيز : لابن عطية ٩/ ٢٨٣ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٣١ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٩أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٣٠ ، ولباب النقول في أسباب النزول ١٤٤ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢/ ٢٠٩ .

(٦) الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩أ .

لفصل ما بينهما في النزول[١] . والاختيار ترك الوقف ؛ لأن سنين وإن نزل بعد ثلاثمائة فقد التحق به في قول جميع النحويين ، وصار التقدير : سنين ثلاثمائة . قاله الفرَّاء ، والزَّجَّاج ، وأبو عبيدة ، والكسائي . وعلى هذا ﴿سِنِينَ﴾ في موضع نصب بالفعل[٢] . قال أبو إسحاق : «ويجوز في تقدير العربية أن يكون سنين معطوفاً على ثلاث ، عطف البيان والتوكيد»[٣] . وقال أبو علي : «﴿سِنِينَ﴾ بدل من قوله : ﴿ثَلَثَ مِاْئَةٍ﴾ وموضعه نصب ، كما أن موضع المبدل منه كذلك وهذا كما تقول : أعطيته ألفاً درهماً ومائة أثواباً»[٤] . قال الفرَّاء : «ويجوز أن يكون ﴿سِنِينَ﴾ نصباً بالتفسير للعدد ، كما قال عنترة[٥] :

فيها اثْنَتَانِ وأربعونَ حلوبةً سوداً كخافيةِ الغرابِ الأسحمِ

[وهي جمع مفسرة كما يفسر الواحد»[٦] .

وقال أبو إسحاق : «وجائز أن يكون ﴿سِنِينَ﴾ من نعت المائة ، وهو راجع في المعنى إلى ثلاث ، كما قال الشاعر ، وأنشد البيت»][٧][٨] . فجعل سوداً نعتاً

---

(١) ذكر نحوه بلا نسبة المكتفى في الوقف والابتداء ٣٦٨ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٢ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٨ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٨ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٤١ .

(٥) البيت لعنترة . كَخَافِية الغُرَاب : أواخر الريش من الجناح مما يلي الظهر ، وسميت بذلك لخفائها . والأسْحم : الأسود . والشاهد فيه قوله : (سوداً) ، وهو حال من النكرة (حلوبة) في بعض التخريجات ، وفيه دليل على مجيء صاحب الحال نكرة . واستشهد به أبو حيان على نعت التمييز المفرد بالجمع مراعاة للمعنى . انظر : ديوانه ١٣ ، والحيوان ٣/ ٤٢٥ ، وخزانة الأدب ٧/ ٣٩٠ ، وشرح شذور الذهب ٣١١ ، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ٣٠٥ ، وشرح القصائد العشر ٢١٧ ، والمقاصد النحوية ٤/ ٤٨٧ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٨ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٨ .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .

للحلوبة ، وهي في المعنى نعت لجملة العدد . وهذا القول أحسن من قول الفرَّاء ؛ لأنه جعل سوداً تفسيراً للعدد ، وليس كذلك تفسير العدد حلوبة ، وسوداً نعت للحلوبة راجع إلى جملة العدد ، كذلك قوله : ﴿سِنِينَ﴾ نعت المائة راجع إلى جملة العدد ، وعلى هذا يكون ﴿سِنِينَ﴾ في محل الجر ، غير أنه يفتح النعت بالسنين ؛ لأنها اسم جامد فلا يحسن النعت بها .

وقد حصل في قوله : ﴿سِنِينَ﴾ خمسة أوجه من الإعراب : الظرف ، وعطف البيان ، والبدل ، والتفسير ، والنعت . هذا الذي ذكرنا وجه قراءة العامة وهو تنوين (مِائَة) ، وقراءة حمزة ، والكسائي : ﴿ثَلَٰثَ مِأْئَةٍ سِنِينَ﴾ مضافة غير منونة[١] ، وهذه قراءة غير جيدة[٢] .

قال أبو الحسن : «لا يحسن إضافة المائة إلى السنين ، لا تكاد العرب تقول : مائة سنين»[٣] .

---

(١) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وابن عامر : (ثلاث مائة سنين) منوناً . وقرأ حمزة ، والكسائي : (ثلاث مائة سنين) مضافاً غير منون . انظر : السبعة لابن مجاهد (٣٩٠) ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٦ ، والمبسوط ٢٣٤ ، والتبصرة (٢٤٨) ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٥٨ ، والنشر ٢/ ٣١٠ .

(٢) قول المؤلف ـ غفر الله له ـ هذه قراءة غير جيدة . غير جيد ؛ لأنها قراءة سبعية صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ ، فلا يجوز الطعن فيها .
قال ابن عطية في تفسيره ٩/ ٢٨٥ : وهي قراءتنا معشر المغاربة ولا يقوم فيها مخالفة قانون النحاة المشار إليه بقول الخلاصة : ومائة والألف للفرد أضف . لأن القرآن برواية أهل السبع عن رسول الله ﷺ حجة على النحاة لا العكس ، لاسيما وأبو علي الفارسي يرى أن قاعدة إضافة المائة إلى الفرد ، أغلبية لا كلية مطردة ، وبهذا يرد على من أنكر هذه القراءة .
وقال أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ١١٧ : وقرأ حمزة والكسائي مائة بغير تنوين مضافاً إلى سنين أوقع الجمع موقع المفرد ، وأنحى أبو حاتم على هذه القراءة ، ولا يجوز له ذلك .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٧ ، ومجمع البيان ٦/ ٧١٣ .

وقال صاحب النظم : «مـــن أضاف وأظهر العدد اعتســـف»[١] . إلا أن أبا الحسن قال : «هو جائز ، وقد يقوله بعض العرب»[٢] .

قال الفرَّاء : «مِنَ العرب من يضع الســـنين في موضع سنة ، وهي حينئذٍ[٣] في موضع خفض لمن أضاف»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ . قال أبو إســـحاق : «لا يكون على معنى تسع ليال ، ولا تسع ساعات ؛ لأن العدد يعرف تفسيره ، فإذا تقدم تفسيره استغنى بما تقدم عن إعادة ذكر التفســـير ، تقول : عندي مائة درهم وخمسة ، فتكون الخمسة قد دلَّ عليها ذكر الدراهم»[٥] .

وقـــال أبو علي : «﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ ؛ أي ازدادوا لُبث تســـع ، فحذف المصدر وأقيم المضاف إليه مقامه ، وانتصاب تسع انتصاب المفعول به لا انتصاب الظرف ، كما أن المضاف لو ظهر وأضيف إلى التسع كان كذلك»[٦] .

٢٦. قوله تعالى : ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ . ذكرنا تفسيره في الآية المتقدمة .

وقوله تعالى : ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ . ذكرنا تفســـيره في آخر سورة هود[٧] .

---

(١) ذكر نحوه الفارسي في الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٧ بلا نسبة .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٧ .

(٣) في (ص) : (مسد) ، وهو تصحيف .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٨ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٩ .

(٦) الحجة للقراء السبعة ١/ ٣٢٣ .

(٧) عند قوله ســـبحانه في ســـورة هود الآية رقم [١٢٣] : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ قال الأخفش : «أي ما أبصره وأسمعه ! كما تقول : أكرم به ! أي ما أكرمه ! قال : ويدلك على ذلك أن العرب تقول : يا أمة الله أكرم بزيد ! فهذا معناه ما أكرمه ! ولو كان يأمرها أن تفعل شيئاً لقال : أكرمي زيداً»[١] .

وقال الفرَّاء : «﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ يريد الله ، كقولك : أكرم بعبدالله ! ومعناه : ما أكرم عبدالله ! وكذلك قوله :﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم :٣٨] ما أسمعهم وما أبصرهم !»[٢] .

وقال أبو إسحاق : قوله : «﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ أجمع العلماء أن معناه : ما أسمعه وأبصره ! أي هو عالم بقصة أصحاب الكهف وغيرهم»[٣] .

وقال أبو علي : «العرب تتسع فتقيم المثال الذي يختص بالأمر مقام الخبر ، والمثل المختص بالخبر موقع الدعاء والأمر . مما أقيم من أمثلة الأمر موقع الخبر قولهم : أكرم بزيد ! وقوله تعالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم :٣٨] ، ومعنى هذا ما أكرم زيداً ، واسمعوا وأبصروا ؛ أي صار زيد ذا كرم ، وصار هؤلاء ذوي أسماع وأبصار . قال : وموضع الباء مع ما بعده من المنجر رفع ، كما أن الباء في : ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ [العنكبوت :٥٢] كذلك فوقع مثال الأمر هاهنا موقع الخبر ، كما وقع مثال الخبر موقع الأمر في الدعاء في مثل : غفر الله لزيد ، وقطع الله يد فلان ، وجاء في التنزيل : ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم :٧٥] ؛ فهذا لفظه كلفظ أمثلة الأمر ، ومعناه الخبر ، ألا ترى أنه لا وجه للأمر هاهنا وأن المعنى مده الرحمن مدّاً ، ويدلك على أن المراد بقوله : أكرم بزيد ! أن معناه أنه قد كرم ، وأن الكرم وما أشبهه من الأحداث لا يخاطب ولا يؤمر ولا ينهى ، وأنه ليس للأمر هاهنا معنى ولا متوجه ، وأيضاً فإنك إذا قلت : يا زيد أكرم بعمرو ، فليس

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٨ .
(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٩ .
(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨٠ .

يخلــو هذا الفعل من أن يكون له فاعل ، وفاعله لا يخلو من أن يكون المخاطب أو المتعجب منه ، فلو كان المخاطب لوجب أن يجمع الضمير في الفعل ويلحق علامة التأنيــث ، فلما لم يفعل من ذلك شيء ، بل أجروا هــذا الفعل بعد المذكر والمؤنث والجمع والتثنية مجــرى واحد أعلم أن فاعله المتعجب منه دون المخاطب ، وثبت أن الجار مع المجرور في موضع رفع)[١] .

هذا الذي ذكره أبو علي أصل هذا الكلام ، وشرح وضعه ، ثم صار من ألفاظ التعجب حتى لا فصل بين قولك : ما أحسن زيداً ! وقولك : أحسن بزيد ، وإذا كان كذلك فقوله تعــالى : ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ . قال المفسرون : «ما أبصر الله بكل موجود ، وأسمعه بكل مسموع»[٢] .

وقال ابن زيد : «معناه أنه يرى أعمال أهل الســموات والأرض ، ويســمع منهم»[٣] . هذا الذي ذكرنا إجماع من أهل العلم أن قوله : ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ معناه ما أبصره وأسمعه ! .

وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال : «معناه أبصر أوليائي بعجائب القرآن ، وأسمع به أوليائي»[٤] . وعلى هذا ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ المراد به الأمر ، والمفعول محذوف على تقدير : أبصرهم وأســمعهم ، وقوله : ﴿بِهِۦ﴾ ؛ أي بالقرآن ، كأنه قيــل : اجعلهم يبصرون بالقرآن غيري ، وولايتي ويســمعون ذلك[٥] . والقول الذي عليه الناس هو الأول .

---

(١) ذكر نحوه في الحجة للقراء السبعة ٢/ ٢٠٥ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٣٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٠ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٣٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٩ .

(٤) ذكرت كتب التفســير نحوه من دون نســبة . انظر : زاد المســير ٥/ ١٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٨٨ ، وروح المعاني ١٥/ ١٥٥ .

(٥) النكت والعيون ٣/ ٣٠٠ ، وزاد المســير ٥/ ١٣١ ، والجامع لأحــكام القرآن ١٠/ ٣٨٨ . والحق أن يقال في تفســير هذه الآية : ما أبصره وما أســمعه ســبحانه وتعالى ! وذكر في كتاب الله ـ عز وجل ـ =

وقوله تعالى : ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ . قال المفسرون : «أي ليس لأهل السموات والأرض من دون الله»[١] . والكناية تعود إلى أهل السموات والأرض ، وقد سبق ذكرهم في قوله : ﴿غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ، وهم من غيبها ؛ أي مما غابوا فيها . وقال عطاء عن ابن عباس : «﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ يريد قد عرفوا عظمتي وربوبيتي فلم يتخذوا من دوني وليًّا»[٢] . وعلى هذا الكناية في قوله تعود إلى المؤمنين خاصة من أهل السموات والأرض[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ . قال أبو إسحاق : «هذا على معنيين ؛ أحدهما : أنه جرى ذكر علمه وقدرته ، فأعلم أنه لا يشرك في حكمه بما يخبر به من الغيب أحداً ، كما قال : ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن :٢٦] . ويكون على معنى : أنه لا يجوز أن يحكم حاكم إلا بما حكم الله ، وبما دل عليه حكم الله ، وليس لأحد أن يحكم من ذات نفسه فيكون شريكاً في حكمه يأمر بحكم كما أمر الله»[٤] . وقرأ ابن عامر : (ولا تشرك)[٥] ، على معنى : ولا تشرك أنت أيها الإنسان في حكمه أحداً ، على النهي عن الإشراك في حكمه ؛ أي لا يكن كمن قيل فيه : ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف :١٩١] . وعلى هذه القراءة في الآية رجوع من الغيبة إلى الخطاب ، والقراءة الأولى التي عليها العامة أشبه لتقدم اسم

---

= آيات كثيرة تدل على اتصافه سبحانه بالسمع والبصر الذي يليق بجلاله . وقال ابن سعدي في تفسيره ٥/ ٢٧ : تعجب من كمال سمعه وبصره ، وإحاطتهما بالمسموعات والمبصرات ، بعدما أخبر بإحاطة علمه بالمعلومات .

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٣٢ ، ومعالم التنزيل ٥٣/ ١٦٥ ، والكشاف ٢/ ٣٨٧ ، وزاد المسير ٥/ ١٣١ .

(٢) ذكره الطبري في جامع البيان ١٥/ ٢٣٢ من دون نسبة .

(٣) البحر المحيط ٦/ ١١٧ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٥٦ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨٠ .

(٥) قرأ ابن عامر الشامي : (ولا تشرك) بالتاء جزماً . وقرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن كثير ، وحمزة ، وعاصم ، والكسائي : (ولا يشرك) بالياء والرفع . انظر : السبعة ٣٩٠ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٤١ ، والغاية في القراءات العشر ٣٠٦ ، والعنوان في القراءات السبع ١٢٢ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣١٠ .

الغيبة ، وهو قولـه : ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ ، والهاء للغيبة فكذلك قوله : ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾ ؛ أي ولا يشرك الله في حكمه أحداً[١] .

٢٧. قوله تعـالى : ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ . قال المفسرون : «معناه : اتبع القرآن»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ قال ابن عباس : «يريد لمواعيده»[٣] .

وإلى هذا أشـار الزَّجَّاج ، فقال : «أي مـا أخبر الله به ، وما أخبر به فلا مبدل لـه»[٤] . وعلى هذا المعنى : لا مبدل لحكم كلماته مما وعد به وأمر ، وقال الكلبي : «لا مغير للقرآن»[٥] .

وقوله تعـالى : ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ . قال مجاهـد : «ملجأ»[٦] . وقال الفرَّاء : «الملتحد : الملجأ»[٧] . وقال أبو عبيدة : «معدلاً»[٨] .

وقـال الزَّجَّاج : «أي لن تجد معدلاً عن أمره ونهيه»[٩] . وأصل هذا الحرف : مـن الميل ، ومن قال : ملجأ ، فهو يؤول إلى هذا المعنى أيضاً ؛ لأنك إذا لجأت إلى

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٣٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٠ ، وزاد المسير ٥/ ١٣١ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٣٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٥ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٣٩٢ ، وزاد المسير ٥/ ٩٣ .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ١٦٥ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٥٧ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨٠ . ويشهد لهذا قوله سبحانه في سورة الأنعام :[١١٥] : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ .

(٥) الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩/ ب ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٥٨ .

(٦) جامع البيـان ١٥/ ٢٣٣ ، ومعالم التنزيـل ٥/ ١٦٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠١ ، وتفسـير القرآن العظيم ٣/ ٩٠ .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٩٨ .

(٨) مجاز القرآن ١/ ٣٩٨ .

(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨٠ .

شيء فليس يكون إلا بالميل منك إليه ، وذكرنا هذا الحرف عند قوله : ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ [النحل :١٠٣] .

وقال ابن زيد في هذه الآية : «لا تجدون من دونه ملجأ ولا أحداً يمنعكم»[١] .

٢٨. قوله تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ مفسراً بما فيه من النزول ، واختلاف القراءة في سورة الأنعام[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ . قال علي عن ابن عباس : «يقول لا تتعداهم إلى غيرهم»[٣] . وقال عطاء عنه : «يريد يصدهم بالنظر والمحبة لهم»[٤] .

وقال الفرَّاء : «لا تصرف عيناك عنهم»[٥] .

وقال الزَّجَّاج : «لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة»[٦] . والنهي في الظاهر واقع على العينين ، والمراد منه صاحب العينين ، وهو النبي ﷺ .

قوله تعالى : ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ . قال المفسرون : «يعني مجالسة أهل الشرف والغنى»[٧] .

---

(١) جامع البيان ١٥/ ١٥٤ .

(٢) عند قوله سبحانه في سورة الأنعام : [٥٢] : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٣٤ .

(٤) ذكرت نحوه كتب التفسير بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٣٤ ، وبحر العلوم ٢/ ٢٩٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٩٣ ، وزاد المسير ٥/ ١٣٢ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٠ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨١ .

(٧) جامع البيان ١٥/ ٢٣٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٢ ، وزاد المسير ٥/ ١٣٣ .

وقال أهل المعاني : «قولـــه : ﴿تُرِيدُ﴾ هاهنا في موضع الحال»[١] ؛ أي مريداً ، نهي أن يرفع بصره عن ضعفاء المؤمنين مريداً مجالسة الأشراف ، وكان ﷺ حريصاً على إيمان الرؤســـاء طمعاً في إيمان أتباعهم ، ولم ينسب إلى إرادة زينة الحياة الدنيا ؛ لأنه لم يمل إلى الدنيا قط ولا إلى أهلها ، وإنما كان يلين في بعض الأحيان للرؤساء طمعـــاً في إيمانهم ، فعوتب بهذه الآية ، وأمر بأن يجعـــل إقباله على المؤمنين ، وألَّا يلتفت إلى غيرهم ، ونهي أن يكون له حال يميل فيها إلى الأشراف دون الضعفاء ، ومثل هذه الآية قوله : ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ [عبس :٥ــ٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ . قال ابن عباس : «يريد عيينة وأباهه»[٢] ؛ أي لا تطعهم في تنحية الفقراء عنك ليجلسوا إليك .

وسئل أبو العباس عن قوله : ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ . فقال : «من جعلناه غافلاً . قال : ويكون في الكلام أغفلته سميته غافلاً ، ووجدته غافلاً»[٣] ، وتأويل ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ تركنـــاه غُفْلاً عن الذكر ، كالأرض الغُفْل التي لا علامة بها ، والكتاب الغُفْل الذي لا شكل عليه .

وقولـــه تعالى : ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ . قال مجاهـــد : «ضياعاً»[٤] . وقال قتادة : «ضاع أكبر الضيعة»[٥] . وقال السدي : «هلاكاً»[٦] .

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٨٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١١٩ ، والدر المصون ٧/ ٤٧٤ .

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٥/ ١٦٦ من دون نسبة ، وزاد المسير ٥/ ١٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٢ .

(٣) تهذيب اللغة (غفل) ٣/ ٢٦٨١ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٣٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٧ ، وزاد المسير ٥/ ١٣٣ ، والدر المنثور ٤/ ٣٩٩ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ١٦٧ .

(٦) جامع البيان ١٥/ ٢٣٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٢٩٧ .

وقال أبو الهيثم : «أمر فرط ؛ أي متهاون به»[١] . وشبه أن يكون أصل هذا من التفريط ، وهو تقديم العجز ، وهذا بمعنى قول أبي إسحاق[٢] . ومن قدم العجز في أمره أضاعه وأهلكه ، ومعنى هذا أنه ترك الإيمان والاستدلال بآيات الله واتبع هواه .

الليث : «الفَـرَطُ : الأمر الذي يُفَرَّط فيه ، تقـول : كل أمر فلان فَرَط»[٣] ، ونحو هذا قال الفرَّاء : «فُرُطاً : متروكاً قد ترك فيه الطاعة»[٤] .

وقـال ابن عباس في رواية عطـاء : «يريد أنه أفرط في مسـألته ، وأحب أن يرتفع عنـد الله بغير تقوى»[٥] ، يعني حين أراد مجالسـة النبي ﷺ والقرب منه ، والتقدم على أهل الإيمان من غير طاعة وتقى . وعلى هذا الفَرَط اسم من الإفراط ، وهـو مجاوزة الحد ، ونحو هذا روي عن مقاتل أنـه قال في قوله : ﴿فُرُطًا﴾ قال : (سرفـاً)[٦] . فيحتمل أنه يريد بالمسرف ما ذكرنا عن ابن عباس ، ويحتمل أن يريد ما ذكره الكلبي والفرَّاء .

قال الكلبي : «قال عيينة : إنا رؤوس مضر[٧] وأشرافها ، فإن نسـلم يسـلم الناس بعدنا»[٨] .

---

(١) تهذيب اللغة (فرط) ٣/ ٢٧٧٣ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨١ .

(٣) التفسير الكبير ١٦/ ١١٨ ، وتهذيب اللغة (فرط) ٣/ ٢٧٧٣ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٠ .

(٥) ذكر نحوه بلا نسبة الألوسي في روح المعاني ١٥/ ٢٦٥ .

(٦) معالم التنزيل ٥/ ١٦٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٢ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢٠ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٦٥ .

(٧) مضر : نسـبة إلى مضر بن نزار بـن معد بن عدنان ، وهو جد جاهلي تنتسـب إليه كثـير من القبائل العدنانية ، وهو أخو ربيعة بن نزار . انظر : سـير ابن هشام ١/ ٧٣ ، والأنساب ٥/ ٣١٨ ، والإيناس بعلم الأنساب ٢٩ ، والمنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب ٤٠٣ .

(٨) ذكر نحوه البغوي في معالم التنزيل ٥/ ١٦٧ ، وزاد المسير ٥/ ١٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٢ .

وقال الفـرَّاء : «إنه أفرط في القول ، فقال : نحـن رؤوس مضر وأشرافها ، وليـس كذلك»[١] . وعلى هذا كان أمره فُرُطـاً لإفراطه في القول والبذخ ، حيث قال : إنـه رأس العرب وهم أتباعه على دينه . ويقال : أمـر فُرُط ؛ أي مجاوز فيه الحدود . روي عن أبي زيد البلخي أنه قال : «معناه : قدماً في الشر»[٢] . وعلى هذا أصله من قوله : فَرَطَ منه أمر ؛ أي سبق وبدر[٣] .

ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ [طه :٤٥] ، ومنه يقال : فرس فُرُط ؛ أي سريعة ، قال لبيد[٤] :

فُرُطٌ وشاحيَ إذْ غدوتُ لجامُها

٢٩. قوله تعالى : ﴿وَقُلِ﴾ قال عطاء عن ابن عباس : «وقل يا محمد لمن جاءك مـن أهل الدنيا شريفاً أو وضيعاً»[٥] . قال المفسرون : قل لهؤلاء الذين أمروك بتنحية الفقراء عنك ، وإدناء مجلسهم ليؤمنوا بك .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٠ .

(٢) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة بلا نسبة (فرط) ٣/ ٢٧٧٣ ، ولسان العرب (فرط) ٦/ ٣٣٩١ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (فرط) ٣/ ٢٧٧٣ ، ومقاييس اللغة (فرط) ٤/ ٤٩٠ ، والقاموس المحيط (فرط) ٦٨١ ، ولسـان العـرب ٦/ ٣٣٩١ ، والصحاح (فرط) ٣/ ١١٤٨ . وقـال الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسـيره ١٥/ ٢٣٦ : وأولى الأقـوال في ذلـك بالصواب قول من قـال معناه ضياعـاً وهلاكاً من قولهـم : أفرط فلان في هـذا الأمر إفراطاً ، إذا أسرف فيه وتجاوز قـدره . وكذلك قوله ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهـف :٢٨] معناه وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا في الرياء والكبر واحتقار أهل الإيمان سرفاً قد تجاوز حده فضيع بذلك الحق وهلك .

(٤) هذا عجز بيت لبيد ، وصدره :

ولقد حميتُ الخيلَ تحملُ شكَّتي

والفرَطُ : الفرس السريعة التي تتفرط الخيل ؛ أي تتقدمها . وشاحي ، لجامها : أن الفرسان كان أحدهم يتوشح اللجام ، وتوشحه إياه أن يلقيه على عاتقه ويخرج يده منه . انظر : ديوانه ٣١٥ ، وتهذيب اللغة (فرط) ٣/ ٢٧٧٣ ، ولسان العرب (فرط) ٦/ ٣٣٩١ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ١٩٥ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٣٧ ، وبحر العلوم ٢/ ٢٩٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٩٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩١ .

وقوله تعالى : ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ . قال الكسائي : «يعني هو الحق من ربكم ، وهو الإسلام»[١] .

وقال الأخفش : «أي قل : هو الحق»[٢] .

قال أبو إسحاق : «أي الذي أتيتكم به الحق من ربكم»[٣] . وهذا معنى قول قتادة : «﴿ٱلْحَقُّ﴾ هذا القرآن»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ . قال السدي : «هذا على وجه الوعيد»[٥] . وقال قتادة : «إن ربكم بيَّن ثم خيَّر»[٦] ؛ يعني التخيير الذي هو للتهديد ، كما قال الزَّجَّاج : «هذا الكلام ليس بأمر لهم ما فعلوا منه فهم

(١) ذكره الألوسي في روح المعاني ١٥/ ٢٦٦ ونسبه إلى الكرماني .

(٢) معاني القرآن للأخفش ١/ ٦١٨ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨١ .

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب بلا نسبة ، والسمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٢٩٧ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٩٩ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٥) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٢٥ من دون نسبة .

(٦) لم أقف على القول . وقال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية ٤/ ٩٢ : المراد من الآية الكريمة ليس هو التخيير ، وإنما المراد بها التهديد والتخويف ، والتهديد بمثل هذه الصيغة التي ظاهرها التخيير أسلوب من أساليب اللغة العربية ، والدليل من القرآن العظيم على أن المراد في الآية التهديد والتخويف أنه أتبع ذلك بقوله : ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف :٢٩] . وهذا أصرح دليل على أن المراد التهديد والتخويف ، إذ لو كان التخيير على بابه لما توعد فاعل أحد الطرفين المخير بينهما بهذا العذاب الأليم ، وهذا أوضح كما ترى . وقال ابن تيمية في العقيدة الواسطية ٤٥ : وأهل السنة وسط بين الجبرية والقدرية ؛ لأن الجبرية يثبتون قضاء الله في أفعال العبد ، ويقولون : إنه مجبر لا قدرة له ولا اختيار ، والقدرية ينكرون قضاء الله في أفعال العباد ، ويقولون : إن العبد قادر مختار لا يتعلق فعله بقضاء الله . وأهل السنة يثبتون قضاء الله في أفعال العبد ، ويقولون : إن له قدرة واختياراً أودعهما الله فيه متعلقتين بقضاء الله ، فيثبتون للعبد مشيئة واستطاعة ، وهي القدرة إلا أنهما تابعان لمشيئة الله تعالى .

فيه مطيعون ، ولكنه كلام وعيد وإنذار ، قد بين بعده ما لكل فريق من مؤمن وكافر»[١] . هذا الذي ذكرنا قول أكثر أهل التفسير[٢] .

وروى الوالبي عن ابن عباس والضحاك في هذه الآية يقول : «من شاء الله له الإيمان آمن ، ومن شاء الله له الكفر كفر»[٣] . وهو كقوله : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير :٢٩] ، فعلى هذا القول قوله : ﴿فَمَن شَآءَ﴾ ؛ أي من شاء الله ، فالمشيئة مسندة إلى الله .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ ؛ أي هيأنا وأعددنا . ومضى الكلام في معنى الإعتاد[٤] . ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ هم الذين عبدوا غير الله تعالى[٥] .

﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ ، معنى السرادق في اللغة : كل ما أحاط بشيء واشتمل عليه من ثوب أو حائط . وأكثر ما يستعمل في الفسطاط .

قال الليث : «السرادق : كالحجرة المحوطة من غزل غليظ منسوج مضرب الأسفار للملوك ، والجمع : سرادقات»[٦] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨١ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٣٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٩٤ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٣٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٧ ، والدر المنثور ٤/ ٣٩٩ .

(٤) عند قوله سبحانه في سورة النساء : [١٨] : ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .

(٥) ويشهد لهذا قوله تعالى في سورة لقمان : [١٣] : ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ .

(٦) تهذيب اللغة (سردق) ٢/ ١٦٦٩ .

قال رؤبة[١] :

سرادقُ المجدِ عليكَ ممدودٌ

قال الأزهري : «ويقال للغبار الساطع ، والدخان الشاخص المحيط بالشيء : سرادق»[٢] .

قال لبيد يذكر الإبل[٣] :

رفعنَ سرادقـــاً في يـومِ ريـــحٍ يـصـفـقُ بينَ مـــيلٍ واعـتـدالِ

هذا معنى السرادق في اللغة[٤] . فأما التفسير فروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قـال : «سرادق النار أربع جدر ، كثف كل جدار منها مسيرة أربعين سنة»[٥] .

---

(١) هذا عجز بيت لرؤبة ، وصدره :

يا حكمُ بنُ المنذرِ بنُ الجارودِ

انظر : ديوانه ١٧٢ ، والكتاب ١/ ٣١٣ ، والمفصل ٢/ ٥ ، والدر المصون ٧/ ٤٧٨ ، ولسان العرب (سردق) ٤/ ١٩٨٨ .

(٢) تهذيب اللغة (سردق) ٢/ ١٦٦٩ .

(٣) البيت للبيد بن ربيعة العامري . السرادق هنا : الغبار الساطع ، والدخان الشاخص المحيط بالشيء . انظر : ديوانه ١٠٨ ، وتهذيب اللغة : (سردق) ٢/ ١٦٦٩ـ١٦٧٠ ، والمخصص ١٠/ ٦٦ ، ولسان العرب : (سردق) ٤/ ١٩٨٩ .

(٤) السرادق هو : كل ما أحاط بشيء نحو الشقة في المضرب ، أو الحائط المشتمل على الشيء . انظر : تهذيب اللغة (سردق) ٢/ ١٦٦٩ ، والصحاح (سردق) ٤/ ١٤٩٦ ، والقاموس المحيط (السرادق) ٨٩٣ .

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب : جهنم ، باب : ما جاء في صفة شراب أهل النار ٤/ ٦٠٩ ، والإمام أحمد في مسنده ٣/ ٢٩ ، وابن المبارك في الزهد ٢/ ٩٠ ، وأبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٩٠ ، وابن الأثير في جامع الأصول ، كتاب : القيامة ، باب : في ذكر الجنة والنار ١٠/ ٥١٤ ، والطبري في جامع البيان ١٥/ ٢٣٩ ، والبغوي في معالم التنزيل ٥/ ١٦٨ ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٢ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٩٩ .

وقال الكلبي : «هو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة»[١] . وبهذا فسِّر قوله تعالى : ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة :٤٣] ، وقوله : ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات :٣٠] ، وهذا اختيار أبي عبيدة ، وابن قتيبة[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ﴾ . قال المفسرون أي مما هم فيه من العذاب وشدة العطش . ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ . قال أبو عبيد : «المهل : كل فِلزٍّ[٣] أذيب»[٤] .

وروي في حديث أبي بكر -رضي الله عنه- أنه أوصى في موضعه فقال : «ادفنوني في ثوبي هذين ، فإنما هما للمهل والتراب»[٥] .

قال أبو عبيدة : «المهل في هذا الحديث : الصديد والقيح»[٦] .

وقال أبو عمرو : «المهل في شيئين : هو في حديث أبي بكر : القيح والصديد ، وفي غيره : دردي الزيت»[٧] .

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٣٩ ، وتفسير القرآن للصنعاني ١/ ٣٣٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٣٤ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٧ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٩٨ .

(٣) الفِلزُّ بكسر الفاء واللام وتشديد الزاي : نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغة ، أو خبت الحديد ، أو الحجارة ، أو جواهر الأرض كلها ، أو ما ينفيه الكير من كل ما يذاب منها . انظر : تهذيب اللغة (فلز) ٣/ ٢٨٢٨ ، ومقاييس اللغة (فلز) ٤/ ٤٥١ ، والقاموس المحيط (الفلز) ٥٢٠ ، ولسان العرب (فلز) ٦/ ٣٤٦٠ .

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٢١٧ ، وتهذيب اللغة (مهل) ٤/ ٣٤٦٤ .

(٥) المحرر الوجيز ٩/ ٢٩٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٥ ، وتهذيب اللغة (مهل) ٤/ ٣٤٦٤ ، وغريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٢١٧ ، والفائق في غريب الحديث للزمخشري ٣/ ٣٩٥ .

(٦) تهذيب اللغة (مهل) ٤/ ٣٤٦٤ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٥ ، وتهذيب اللغة (مهل) ٤/ ٣٤٦٤ .

وقال الليث : «المهل : ضرب من القطران ، يقال : مَهَلْتُ البعير فهو مَمْهُول»[١] .

وروى شمر عن ابن شميل : «المهل عندهم المِلَّة إذا حميت جدًّا رأيتها تموج»[٢] .

وقالت العامرية : «المهل عندنا السُّمُّ»[٣] . هذا معنى المهل في اللغة ، وهو على ستة معان . روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله : «بماء كالمهل» قال : «كعكر الزيت»[٤] .

وهو قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير قال : «كدردي الزيت»[٥] . ونحو هذا روى عنه الوالبي والعوفي[٦] . وقال مجاهد : «كالمهل : القيح والدم»[٧] .

---

(١) تهذيب اللغة (مهل) ٤/ ٣٤٦٥ .

(٢) تهذيب اللغة (مهل) ٤/ ٣٤٦٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٤ بلا نسبة ، وأضواء البيان ٤/ ٩٥ ، وتهذيب اللغة (مهل) ٤/ ٣٤٦٥ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٢٢٢ ، والترمذي في جامعه ، كتاب : جهنم ، باب : في صفة شراب أهل النار ٤/ ٦٠٨ وقال : هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ، وفي رشدين مقال ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه . وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، باب : صفة النار وأهلها ٩/ ٢٧٩ ، والطبري في جامع البيان ٢٥/ ١٣٢ ، والبغوي في معالم التنزيل ٥/ ١٦٨ ، وابن كثير في تفسيره ٣/ ٩٢ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٠٠ ، وابن حجر في الكافي الشاف (١٠٣) ، وقال : أخرجه الترمذي من طريق رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ، وتعقب قوله : بأن أحمد وأبا يعلى أخرجاه من طريق ابن لهيعة من دراج ، وبأن ابن حبان والحاكم أخرجاه من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث .

(٥) جامع البيان ١٥/ ١٥٨ ، وبحر العلوم ٣/ ٢٩٧ ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٦٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٤ .

(٦) النكت والعيون ٣/ ٣٠٣ ، وزاد المسير ٥/ ٩٥ .

(٧) جامع البيان ١٥/ ١٥٨ ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٦٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٤ .

وقال عطاء عن ابن عباس : «هو عكر القطران»[١] .

وروى قتادة والحسن عن ابن مسعود : «أنه سئل عن المهل ، فدعا بذهب وفضة فخلطهما ، فأذيبا حتى إذا أزبدا وانماعا قال : هذا أشبه شيء في الدنيا بالمهل الذي هو شراب أهل النار»[٢] . وإلى هذا القول ذهب من قال في تفسير المهل : هو الذي قد انتهى حره ؛ لأنه لا شيء أشد حرارة من هذه الجواهر إذا أذيبت . وهذا القول هو اختيار الزَّجَّاج فقال : «يعني أنهم يغاثون بماء كالرصاص المذاب والصُّفْر أو الفضة»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ﴾ . يقال : شويتُ اللحم أشويه شياً ، فإذا شويته لنفسك خاصة قلت : أشويت . قال لبيد[٤] :

فَاشْتَوَى لَيْلَةَ رِيحٍ واجْتَمَلْ

وانشوى اللحم انشواء ، ويقال : اشتوى أيضاً بهذا المعنى[٥] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٤ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢١ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ١٥٨ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ٧ب ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٦٠ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٣٩٦ ، وزاد المسير ٥/ ٩٥ ، والدر المنثور ٤/ ٤٠٠ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨٢ .

(٤) هذا عجز بيت للبيد ، وصدره :

أَو نَهْنَه فأَتَاهُ رِزْقُه

اجتمل : انتفع بالشحم ، والشحم يسمى الجميل . انظر : ديوان لبيد ١٤٠ ، ومقاييس اللغة (شوى) ٣/ ٢٢٥ ، ولسان العرب (شوا) ٤/ ٢٣٦٧ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (شوى) ٢/ ١٩٥٠ ، ومقاييس اللغة (شوى) ٣/ ٢٢٤ ، ولسان العرب (شوا) ٤/ ٢٣٦٧ ، ومختار الصحاح (شوى) ١٤٨ .

روى الخدري عن النبي ﷺ في هذه الآية قال : «فإذا قربه إليه سقط فروة وجهه فيه»[١] .

وقال ابن عباس : «يشويه حتى يسقط لحم وجهه»[٢] . ثم ذمه فقال : ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ هذا الماء الذي وصفنا . ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ؛ أي ساءت النار مرتفقاً ، وهو نصب على التمييز[٣] . ومعنى المرتفق في اللغة : ما يرتفق به[٤] .

قال ابن عباس : «يريد : وبئس ما ارتفقوا به»[٥] . واختلفت العبارات عن المفسرين في هذا ، فقال مجاهد : «مجتمعاً»[٦] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٢٢٢ ، والترمذي في جامعه ، كتاب : جهنم ، باب : ما جاء في صفة شراب أهل النار ٤/ ٦٠٨ ، وقال : هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ، وفي رشدين مقال ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه . وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، باب : صفة النار وأهلها ٩/ ٢٧٩ ، وأخرج نحوه الحاكم في مستدركه ، كتاب : التفسير ، سورة الكهف ٢/ ٣٦٨ ، والطبري في جامع البيان ١٥/ ٢٤١ ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٢ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٠٠ .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة .
انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٤١ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب ، وزاد المسير ٥/ ١٦٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٤ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨٢ .

(٤) انظر : القاموس المحيط (الرفق) ٨٨٧ ، والصحاح (رفق) ٤/ ١٤٨٢ ، ولسان العرب (رفق) ٣/ ١٦٩٦ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٤١ ، وبحر العلوم ٢/ ٢٩٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٣٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٢ .

(٦) جامع البيان ١٥/ ١٥٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٩٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٣ .

وقال عطاء : «مَقرّاً»[١] . وقال الزَّجَّاج : «منزلاً»[٢] .

وقال ابن قتيبة : «مجلساً»[٣] . ومعنى هذه الألفاظ واحد ، وهي كلها ترجع إلى أصل واحد ، فيجوز أن ترجع إلى ما ذكرنا ، وذلك أن المنزل والدار مما يرتفق به ، ويجوز أن يكون أصلها من الارتفاق وهو الاتكاء على المرفق ، ومنه قول الهذلي[٤] :

نامَ الخليُّ وبتُّ مرتفقاً

وهذا قول ابن السكيت في قوله : ﴿مُرْتَفَقًا﴾ قال : «متكأً»[٥] . وكل موضع نزلته وقعدت فيه فهو مرتفق لك ومتكأ .

٣٠. ثم ذكر ما وعد المؤمنين فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية . واختلف النحويون في جواب ﴿إِنَّ﴾ الأولى ، فذكر أبو إسحاق وأبو علي فيه ثلاثة أوجه :

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ١٦٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٥ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢١ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٦٩ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨٢ .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٧ .

(٤) هذا صدر بيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ورد برواية :

نامَ الخليُّ وبتُّ مشتجراً كأنَّ عينيَّ فيها الصابُ مذبوحٌ

الخليُّ : الذي ليس به هم . والصَّابُ : شجر بتهامة إذا قطع منه عود خرج منه لبن إذا أصاب العين أحرقها . انظر : ديوان الهذليين ١/ ١٠٤ ، وشرح أشعار الهذليين ١/ ١٢٠ ، والدر المصون ٧/ ٤٨٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٥ ، ولسان العرب (صوب) ٤/ ٢٥٢٠ .

(٥) تهذيب اللغة (رفق) ٢/ ١٤٤٤ .

أحدها : أن خبره قوله : ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ على إضمار منهم ، فحذف الراجع من الخبر ؛ لأنه معلوم أن الله إنما لا يضيع أجر من أحسن عملاً من المؤمنين ، فأما من أحسن عملاً من غير المؤمنين فإن الله يحبط عمله .

الوجه الثاني : أن المعنى إنا لا نضيع أجرهم ، إلا أنه وقع المظهر موقع المضمر ؛ لأن من أحسن عملاً في المعنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

الوجه الثالث : أن الخبر قوله : ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ ويكون قوله : ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراضاً بين الاسم والخبر ، وجاز ذلك ؛ لأن من أحسن عملاً بمنزلة الذين آمنوا[1] . وذكر الفرَّاء وجهين آخرين أحدهما : «أن قوله : ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ﴾ من عمل صالحاً ، فترك الكلام الأول ، واعتمد على الثاني كقول الشاعر[2] :

إنَّ الخليفةَ إنَّ اللهَ سربلهُ سربالَ ملكٍ به تزجى الخواتيمُ

الثاني : أن يجعل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في مذهب جزاء ويضمر ، فيصير كأنك قلت : إن من عمل صالحاً فإنا لا نضيع أجره»[3] . والقول ما ذكره أبو إسحاق وأبو علي[4] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨٣ ، والحجة للقراء السبعة ٣/ ٦٣ .

(٢) البيت لجرير ، وصدره :

يكفي الخَلِيفَةَ إن اللهَ سَرْبَلَهُ

انظر : ديوان جرير ٤٣١ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٠ ، وخزانة الأدب ٤/ ٣٤٤ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢١ ، والدر المصون ٧/ ٤٨١ ، ومعجم الشواهد النحوية ٥٩٥ ، والمعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية ٢/ ٨٨٣ ، وأبيات النحو في تفسير البحر المحيط ٣١٣ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٠ .

(٤) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٣ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ٣٩٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢١ ، والدر المصون ٧/ ٤٨١ .

٣١. قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾. قال أبو إسحاق: «أساور جمع أسورة، وأسورة جمع سوار، يقال: سوار في اليد بالكسر، وقد حُكي: سوار، وحكى قطرب: إسوار، وذكر أن أساور جمع إسوار». انتهى كلامه[١]. وقال أبو زيد: «هو سوار المرأة، وسوار المرأة، وأسورة لجماعتها، وهما قلبان يكونان في يدها»[٢].

قال أبو علي: «قول من قال: سوار صحيح، يدل عليه قوله[٣]:

وفي الأكفِّ اللامعاتِ سورُ

ففعل يجمع به هذا النحو، فأما من حكى أسوار فهذا الضرب من الأسماء قليل جداً، إلا أن الثقة إذا حكى شيئاً لزم قبوله، ونظيره قولهم: الإعصار، والإسكان، ولا يجوز عندي أن يكون الجمع الذي جاء في التنزيل مكسراً على هذا الواحد؛ ألا ترى أنه لو كان كذلك لوجب ثبات الياء في التكسير ليكون على زنة: دنانير؛ لأن حرف اللين إذا كان رابعاً في الواحد ثبت أنه الآخر الذي هو سوار جمع على أسورة، ثم جمع أسورة على أساور، كما حكى سيبويه من جمعهم أسقية على: أساق[٤]. ولو كان أساور التي في التنزيل جمع: أسوار، لكان يجب أن يكون أساوير، فلما كانت بغير الياء كانت جمع: سِوَار، كما أن أسقية جمع: سقاء، ثم جمع على: (أساق)»[٥].

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨٣.

(٢) ذكر نحوه في تهذيب اللغة (سار) ٢/ ١٥٩٤ بلا نسبة، وكذلك الصحاح (سور) ٢/ ٦٩٠.

(٣) البيت لعدي بن زيد العبادي، وصدره:

عن مبرقاتٍ بالبرينِ وتبدو

المبرقات: النساء المتزينات. والبرين: جمع برة، وهو الحلي. وسور: جمع سوار. انظر: ديوان عدي ١٢٧، والكتاب لسيبويه ٤/ ٣٥٩، والمخصص ٤/ ٤٦، والمنصف ١/ ٣٣٨، والحجة للقراء السبعة ٢/ ١٥٠، وشرح المفصل ٥/ ٤٤، وشرح الكافية لابن مالك ٤/ ١٨٣٧، واللسان (لمع) ٧/ ٤٠٧٤.

(٤) الكتاب لسيبويه ٣/ ٢٣٠.

(٥) الإغفال في ما أغفله الزَّجَّاج من المعاني لأبي علي الفارسي ٩٤٠.

قال سعيد بن جبير : «على كل واحد منهم ثلاثة من الأساور ، واحد من فضة ، وواحد من ذهب ، وواحد من لؤلؤ ويواقيت»[١] . وقال أهل المعاني : «السوار : زينة تلبس في الزند من اليد ، وهو من زينة الملوك تسور في اليد وتتوج على الرأس»[٢] .

ويروى : «أن كسرى كان له تاج وسواران ، فأتي بها عمر رضي الله عنه»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ . قال الزَّجَّاج : «هما نوعان من الحرير»[٤] .

وقال المفسرون : «السندس : ما رقَّ من الديباج ، والإستبرق : ما غلظ منه»[٥] قال المرقش[٦][٧] :

تراهنَّ يلبسنَ المشاعرَ مرَّةً وإستبرقُ الديباجِ طوراً لباسُها

(١) معالم التنزيل ٥/ ١٦٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٣٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٦ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (سار) ٢/ ١٥٩٤ ، والصحاح (سور) ٢/ ٦٩٠ ، ولسان العرب (سور) ٤/ ٢١٤٨ .

(٣) ذكره ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٦٩ عند ترجمة سراقة بن مالك رضي الله عنه ، وأسد الغابة ٢/ ١٨٠ ترجمة سراقة بن مالك .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨٤ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٤٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٩ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٠٢ .

(٦) ربيعة بن سعد بن مالك ، ويقال هو : عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، أحد المتيمين ، كان يهوى ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك ، وهو شاعر جاهلي ، عرف بالشجاعة والقوة ، والمرقش لقب غلب عليه ، بسبب قوله بيت من الشعر فلقب به . انظر : الشعر والشعراء ١١٩ ، وخزانة الأدب ٨/ ٣١٣ .

(٧) البيت للمرقش ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٤٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٧ ، والدر المصون ٧/ ٤٨٤ ، وفتح القدير ٣/ ٤٠٤ .

وهو اسم أعجمي أصله بالفارسية : [استبر ، ونقل من العجمية إلى العربية ، كما سمي الديباج ، وهو منقول من الفارسية][1] .

قال أبو علي : «الإستبرق لا تخلو حروفه من أن تكون أصولاً كلها أو بعضها أصولاً وبعضها زائداً ، ولا يجوز أن تكون أصولاً ؛ لأنه ليس من كلامهم في الأسماء والأفعال ما هو على ستة أحرف أصول ، ولا يجوز أن تكون الهمزة وحدها زائدة ؛ لأنها لم تلحق زائدة أول بنات الأربعة ، فإن لا تلحق أوائل بنات الخمسة أجدر ، فإذا لم يجز هذا فلا بُدَّ من أن ينضم إليها في الزيادة غيرها ، فلا يجوز أن تكون السين ؛ لأنها لم تزد مع الهمزة أولاً ، ولا يجوز أيضاً أن تكون التاء مع الهمزة ، كما لم يجز أن تكون السين ، فإذا لم يجز هذا علمت أن الزيادة ، وهي التاء والسين مع الهمزة ، وأن الكلمة من الثلث ، ولما نقلت فأعربت وافق التعريب وزن استفعل الذي هو مثال من أمثلة الماضي ، إلا أن الهمزة منه قطعت لينقل من مثال الفعل إلى الاسم ، وكان قطع الهمزة أحد ما نقل به الفعل إلى أحكام الاسم ، وجعل النحويون هذا الحرف ومجيء الهمزة مقطوعة فيه أصلاً لجميع ما أوله همزة موصولة إذا نُقل سمي به ، فقطعوا الهمزة في جميع ذلك ، يقال : لو سميت رجلاً بأضرب وأشرب أو أقتل قطعت الهمزة في جميع ذلك ؛ لأنه ليس من حكم الاسم أن يلحق همزة الوصل أولها ، والحروف التي لحقت همزة الوصل أولها كما لابن والاسم أشبهت الأفعال عند النحويين لما لحق أواخرها الحذف الذي يلحق الأفعال في الجزم ، فلحق أولها همزة الوصل أيضاً لهذه المشابهة التي بينها»[2] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل .

(٢) ذكر نحوه مختصراً في الإغفال في ما أغفله الزَّجَّاج من المعاني ٩٤٤ .

وروي عن ابن محيصن[١] أنه كان يقرأ : واستبرق ، موصولة الألف مفتوحة الآخر على مثال الماضي[٢] ، نحو : استفعل ، وذلك لا يجوز ؛ لأنه ليس هذا الحرف استفعل من برق ، وإنما وافق اللفظ ، واللفظ في التقريب [كما أن سراويل في التقريب][٣] وافق هذا اللفظ وإن لم يكن في كلامهم ، وإذا كان كذلك لم يتبع أن يجعل مثال الماضي ، ولكنه اسم جنس ، يدلك على ذلك دخول لام المعرفة عليه ، والجار في نحو قوله : ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن :٥٤] . وإذا كان كذلك ففتحه لا يجوز ، إذ ليس بفعل ، وإذا لم يكن فعلاً كان اسماً أعجمياً [معرباً واقعاً على الجنس ، كما أن السندس والخَزَّ[٤] كذلك][٥] كان بمنزلة الديباج والفِرنْد[٦] ، والبَرِيم[٧] ، ونحو ذلك من الأسماء المنقولة نكرة ، وليس من باب إبراهيم وإسماعيل ، وإذا كان من هذا الضرب لم يكن فيه إلا الصرف إلا أن يُسمَّى به شيء فينضم إلى مثال الفعل التعريف ، فإذا لم يكن كذلك فترك الصرف فيه لا يستقيم .

---

(١) محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهمي ، إمام فاضل ، علم بالقراءات ، ثقة محدث ، قرأ القرآن على عدد من أصحاب النبي ﷺ ، وقرأ عليه عدد من التابعين ، توفي ـرحمه اللهـ في مكة سنة ١٢٣هـ . انظر : الوافي بالوفيات ٣/ ٢٢٣ ، وغاية النهاية ٢/ ١٦٧ ، ومعرفة الكبار ١/ ٩٨ ، وتهذيب التهذيب ٧/ ٤٧٤ ، وشذرات الذهب ١/ ١٦٢ .

(٢) المحتسب لابن جني ٢/ ٢٩ ، والقراءات الشاذة للقاضي ٦٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢/ ٢١٣ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .

(٤) الخَزُّ : نوع منه الثياب معروف مشتق منه ، عربي صحيح ، وهو من الجواهر المصوف بها . انظر : القاموس المحيط (الخز) ٥١٠ ، والصحاح (خزز) ٣/ ٨٧٧ ، ولسان العرب (خزز) ٢/ ١١٤٩ ، ومختار الصحاح (خزز) ٧٣ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .

(٦) الفِرنْدُ : دخيل معرب وهو اسم للثوب . ويطلق على السيف . انظر : تهذيب اللغة (فرند) ٣/ ٢٧٨٣ ، والقاموس المحيط (الفرند) ٣٠٦ ، والصحاح (فرند) ٢/ ٥١٩ ، ولسان العرب (فرند) ٦/ ٣٤٠٥ .

(٧) البَرِيْمُ : ثوب فيه قز وكتان . وقيل : خيط ينظم فيه خرز فتشده المرأة على حقويها . انظر : تهذيب اللغة (برم) ١/ ٣٢١ ، ومعجم مقاييس اللغة (برم) ١/ ٢٣١ ، والصحاح (برم) ٥/ ١٨٦٩ .

وقوله تعالى : ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ . يقال : اتكأ الرجل ، وأصله : اوتكأ ، مثل : اتزن من الوزن ، والتُّكأة أصلها : وُكأة ، ومنه التَّوكؤ ، وهو : التحامل على الشيء ، قال الله تعالى : ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ [طه :١٨] ، ورجل تُكأة إذا كان كثير الاتِّكاءِ ، وهو في الأصل وكأة ، فقلبت الواو تاء كما قالوا : تكلة في موضع وكلة ، ويقال : تكأ الرجل يتكئ مثل اتكأ ، وأوكأت فلاناً إذا نصبت له متكأ[١] .

وقوله : ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة . قال الليث : «وهي سرير حجلة ، فالحجلة والسرير أريكة ، وجمعها : أرائك»[٢] . وهو قول المفسرين ، قال ابن عباس ومجاهد : «﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ : السُّرر في الحجال»[٣] . ولا يكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة .

وقال أبو إسحاق : «﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ : الفرش في الحجال»[٤] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (تكئ) ١/ ٤٤٥ ، والصحاح (وكأ) ١/ ٨٢ ، ولسان العرب (وكأ) ٨/ ٤٩٠٤ .

(٢) ذكرته كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة (أرك) ١/ ١٤٩ ، وتاج العروس (أرك) ١٣/ ٥٠٤ ، والقاموس المحيط (الأراك) ٩٣١ ، ولسان العرب (أرك) ١/ ٦٤ وقال : هي الأسرة ، وهي في الحقيقة الفرش ، كانت في الحجال أو في غير الحجال ، وقيل : الأريكة سرير منجد مزين في قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٤٣ ، وتفسير القرآن ٣/ ٩٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٨ ، والدر المنثور ٤/ ٤٠٣ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨٤ .

قال ابن عباس[١] : «يريد الأَسرَّة من ذهب مكلَّلة بالدر والياقوت عليها الحجال ، الأريكة ما بين صنعاء[٢] إلى أيلة[٣] ، وما بين عدن[٤] إلى الجابية[٥]» . وما نزلت من الصفة أعظم .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٨

(٢) صنعاء : موضعان ؛ أحدهما : باليمن وهي العظمى ، وأخرى : قرية بالغوطة من دمشق ، وصنعاء اليمن : اسمها قديماً أزال ، وبينها وبين عدن ثمانية وستون ميلاً ، وهي قصبة اليمن ، وأحسن بلادها ، وقيل : سميت بصنعاء ابن أزال بن يقطن بن عابر وهو الذي بناها ، وأثنى عليها العلماء ومدحوها ونسب إليها خلق كثير .
وصنعاء دمشق : قرية كانت في جانبها الغربي على باب دمشق دون المزة ، مقابل مسجد خاتون خريت ، وهي اليوم مزرعة وبساتين وقد خربت من العمران ، وينسب إليها جماعة من المحدثين والعلماء . انظر : معجم البلدان ٣/ ٤٢٥ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٨٢ ، ومعجم ما استعجم ٨٤٣ .

(٣) أيلة بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم ، مما يلي الشام ، وقيل : هي مدينة عامرة في بلاد الشام بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم ، وقيل : سميت بأيلة أبنة مدين بن إبراهيم عليه السلام . انظر : معجم البلدان ١/ ٢٩٢ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٩ .

(٤) عدن بالتحريك وآخره نون ، وهو من قولهم : عدن بالمكان إذا أقام به ، وبذلك سميت عدن ، وهي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، وهذا الموضع هو مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون إليه ، لأجل ذلك فإنها بلدة تجارة وعدن جنوبية تهامة . وهو أقدم أسواق العرب ، وقيل : سميت عدن : بعدن ابن سينان بن نفيشان بن إبراهيم . وقيل غير ذلك . انظر : معجم البلدان ٤/ ٨٩ ، ومعجم ما استعجم ٣/ ٩٢٤ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٥٥ .

(٥) الجابية : قرية من أعمال دمشق ، ثم من أعمال الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصقر في شمالي حوران ، وهي قرية معروفة بجنب نوى على ثلاثة أميال منها من جانب الشمال ، وإلى هذه القرية ينسب باب الجابية أحد أبواب دمشق ، وسميت الجابية تشبيهاً بما يجبى فيه الماء ، فإن الجابية اسم للحوض ، فسميت جابية لكثرة مياهها ، وقيل : سميت بذلك لاجتماع الناس بها وكثرتهم فيها ؛ لكونها أرضاً خصبة . انظر : معجم البلدان ٢/ ١٩ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٦٠ .

وقوله تعالى : ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ . قال : يريد طاب ثوابهم وعظُمَ ، ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ يعني حسنت الأرائك مرتفقاً ؛ أي موضع ارتفاق ، بمعنى اتكأ ، قاله الفرَّاء في المصادر[1] . ومرَّ معنا تفسير المرتفق آنفاً .

* * *

(١) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة بلا نسبة (رفق) ٢/ ١٤٤٤ ، وابن منظور في لسان العرب (رفق) ٣/ ١٦٩٥ .